

تأليف
نبيل أحمد بابكر



الحمد الله الذي أنزل على عبدهِ الكتابَ ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد..

فاللهُ عز وجل خلق الخلق ليعبدوه، وأرسلَ الرسل لتدعو الناس إلى أمرين لا يصح أحدهما إلا بالآخر، وهما الإيمان بالله والكفر بالطاغوت قال الله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [النحل: 36] بل قدَّم الله الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، فقال سبحانه:﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:256] وقدَّر اللهُ الحكيم أن يكون هناك أعداء للتوحيد ودعاته في كلِّ زمان ومكان ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا**﴾[الفرقان:31].

فكل من دعا بدعوة الأنبياء ناله مثل ما نالهم من الأذى ﴿ **مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ**﴾[فصلت: 43]، فسنة الله أن الصراع بين أهل التوحيد وأهل الشرك قائم ومستمر ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ [هود: 118] اختلافٌ دائم بين أهل الحق وأهل الباطل، اختلاف لله وفي الله، ينتج عنه تمايز الطيب من الخبيث، والصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، وفي آخر الزمان يكثر الخبث،

ويتَّبع الناس أهواءهم، ويعجبوا بآرائهم، فيضطر الصادقون من أهل الحق إلى هجر أوطانهم، إلى القرى والشعاب والوديان، فراراً بدينهم وحفاظاً على إيمانهم، عندها سوف يتحفهم[1] الله بإرسال الريح الطيبة التي تقبض أرواحهم[2] حتى لو كانوا في بطونِ الجبال، فيبقى شرار الخلق فعليهم تقوم الساعة، وما بين ذلك فالحربُ سجال بينهم، وفي هذه الأزمان اشتدَّ الكربُ على أهل التوحيد، فتآمر أهل الأرض على حربهم وقتلهم وأسرهم باسم الحرب على الإرهاب، وفي حقيقتها حرب على الدين، إذْ أهل الحق يريدون كلمة الله هي العليا في جميع مناحي الحياة، وأهل الباطل يريدون كلمة الله لا تتجاوز التدين الشخصي لمن شاء، ولاحكم لها في سائرمناحي الحياة سوى بعض أحكام الأسرة كأحكام الزواج والطلاق..، ولسان حالهم يقول ما قاله أشباههم من الأمم السابقة ﴿ **قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾[هود:87].

فعندما استمر أهل الإيمان في النصح والتبيان، تآمر عليهم بعض أهل الهوى والطغيان، واتَّحد معهم بعض أهل الفضل والإحسان، ممن نهش إيمانهم

(1) إشارة لحديث النبي ﷺ "تحفة المؤمن الموت" شبه فيه النبي ﷺ الموت بالشيء الثمين النادر للمؤمن وذلك لكثرة الفتن والمكدرات التي يجابهها. الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك:(355/4)، رقم:(7900)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(2) إشارة إلى حديث النبي ﷺ " ... يَبْعَثُ اللّهُ رِيحاً طَيِّبَةً. فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيَبْقَىٰ مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ. فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ" .صحيح مسلم:(7299) دار السلام؛ انظر:سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم:(1659)،(1780).

ذئبان جائعان[1]، فتبلعموا[2] بعدما كانوا سادة المكان! فاللهمَّ لا تزغ قلوبنا يارحمن، فاشتد الكرب على أهل الإيمان، ولم يمر عليهم زمان مثل هذا الزمان، تواصى فيه القريب والبعيد، والقاصي والداني على حربهم والخذلان، ﴿ **وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ**﴾ [محمد: 4].

فالإيمان بالوعد والوعيد زاد الطريق، والتمكين لا يكون إلا بعد الإبتلاء والتمحيص لحقائق الإيمان الكامنة في صدور دعاة الإسلام، فالإبتلاء سنة ربانية ماضية لن تتبدل، فالله جعل الغاية التي من أجلها حوَّل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام هي اظهار زيف الأدعياء ممن يتكلمون بألسنتنا ويقولون بقولنا! فقال:﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ**﴾ [البقرة:143]، وبين لنا كذلك ثمرةً من ثمار هزيمة المسلمين يوم أحد ليبين لنا المتساقطون في الطريق إليه لنحذر منهم ولا نغتر بهم فقال:﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ.وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ**﴾ [آل عمران:166]، فإذا جاءت مصيبة وسقط على اثرها من سقط، وثبت الصادقون، ثم خذلهم المخذولون، فالله لن يخذلهم ولن يكلهم إلى عدوٍ يتجهمهم، بل هو ناصرهم وكفي به نصيراً، فكما نصر أصحاب الكهف وهم فتية مستضعفون سوف ينصرهم

(1) إشارة لحديث النبي ﷺ " مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ على المالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ" . رواه الإمام أحمد في مسنده:(560/3)، رقم:(15800) دار الكتب العلمية، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم :(5620).

(2) انظر تفسير الطبري:(82/9)، المعرفة. تفسير القرطبي:(319/7)، دار إحياء السنة النبوية.انظر قصة بلعام بن باعوراء ص:(191) من هذا الكتاب.

وينجيِّهم، وكما نصر الغلام الموحد من ظلم الملك الظالم سوف ينصرهم وينجيِّهم، لأن سنة الله في نصرة عباده الموحدين ورعايتهم لن تتبدل، إن الله لا يخلف الميعاد، وقد قصَّ الله لنا في القرآن الكريم، قصص بعض الأنبياء والصالحين، بين لنا فيها ما دار بينهم وبين أقوامهم، وسبب رفضهم لدعوتهم، ثم صدهم عن السبيل ومعاداتهم لهم، ثم ختم الله كل قصة بكيفية إنجاء أولياءه المتقين وبيان عاقبة الكافرين، كما بين الله ذلك في سورة الشعراء، ثم ختم كل قصة بهاتين الآيتين:﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ [الشعراء: 8-9] لنعتبر بما فيها من الحكم ونتأسى بأفعال الأنبياء والصالحين، ولا نغتر بأقوال المبدلين المنهزمين، من الدعوة إلى تغيير بعض المفاهيم، ليكون الائتلاف في غير الدين!

فكل من رفض التغيير والتبديل في الدين، واستمسك بالعروة الوثقى وسعى لتحقيقها سيعاديه قومه، وكل من ثبت على دين الله وصبر في سبيل إعلاء كلمة الله، فالله ناصره بشتى أنواع النصر، وأفضل النصر وأكرمه وأجلَّه الثبات على طاعة الله إذا هبت رياح الفتن، فتراه معتزاً باسلامه وايمانه، لا يقبل المساومة عليه وإن أسر أو هدد بالقتل. ومن أنواع النصر التي يمكن أن ينصر الله بها أولياءه، نصرهم بالرعب والريح والملائكة، ونصرهم بشل حركة عدوهم وإشغالهم في أنفسهم، ونصرهم بكف أيديهم عنهم أو بأخذ أبصارهم عنهم، إلى غير ذلك من وسائل النصر، وقد ذكر القرطبي رحمه الله نوعاً من ذلك النصر عند تفسير قول الله تعالى:﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا**

بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45] فقال: كان النبي ﷺ يستتر من المشركين بتلاوة بعض آيات القرآن الكريم، يحتجب ببركاتها من أعين المشركين، وهذا الذي ذكره القرطبي أشار إلى معناه ابن تيمية في الفتاوى[1]، وذكر ابن رجب قصة الحسن البصري مع الحجاج وكيف حجبه الله عن أبصار جنده عندما طلبوه كما سيأتي بيانه[2].

وهذا ليس غريباً على كلام الله، بل هو ما تقتضيه الحكمة، فلو تأملت أقوال وأفعال الأقوام مع أنبيائهم لرأيتها نتاجاً وحصاداً لما في قلوبهم من عقائد وإيمان، فمن كان قلبه سليم الفطرة تجده من أول المؤمنين برسوله، ومن شَابَ فطرته شيء من اللَّوث لم يسلمْ أو تأخَّر إسلامه دون أن يعادي رسوله ﷺ، ومن اجتالت الشياطين قلوبهم وتغيرت فطرهم وفقدوا جميع أدوات التعرف على الحق، فلا يملكون فطرة سليمة، ولا ينتفعون مما يستمعون إليه إلا ما وافق أهواءهم، ولا يبصرون من آيات الله في أنفسهم وفي الآفاق على أنها دالة على الله تعالى أو أنها من فعله، فهؤلاء لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار حتى ينالوا من كل داعية إلى التوحيد، استهزاء وسخرية، وتسفيهاً وتشويه سمعة، ثم اعتداء باليد وتهديداً بالأسر أو القتل، ثم الإعلان العام عن إهدار الدم! وجعل الجوائز لمن يدل عليه أو يأتي به حياً أو ميتاً! فمن الأنسب أن يكون قول من قال من المفسرين إنَّ المراد من الآية هو حجب أبصار أصحاب القلوب المنتكسة عن الرسول ﷺ **في بعض الأحوال**

(1) انظر ص:(41) من هذا الكتاب.

(2) انظر ص:(73) من هذا الكتاب.

ليسلمَ من أذاهم وليتمكنَ من تبليغ رسالة ربه، وهو ظاهر معنى الآية، يقول الحافظ ابن حجر:"إنَّ الكلام يحمل على عمومه وإطلاقه حتى تظهر إرادة التخصيص والتقييد"[1].

ولا تعارض بين هذا القول وقول من قال من المفسرين إنَّ المراد من الحجب هو حجب القلب عن إدراك القرآن عقوبة لهم بسبب إعراضهم عنه، فبالنسبة لبعضهم كان يحجب بصره عن رؤية النبي ﷺ إذا أراده بمكروه، وبعضهم كان يحجب قلبه عن إدراك القرآن عقوبة له على إعراضه بعد إقامة الحجة القلبية عليه، يدل عليه قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾ [الإسراء: 46]. وبعضهم كان ينفر عند قراءة القرآن ولا يستطيع سماعه لتماديه في الكفر والضلال وهو المذكور بقوله ﴿ **وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**﴾[الإسراء: 46].

فالاحتجاب بكلام الله من حيث إمكانية وقوعه فهوكالإستشفاء به تماما، يقول الله تعالى: ﴿ **قل هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾[فصلت:44]، فمن استشفى بالقرآن[2] وهو موقن بأنه شفاء، شفاه الله! وليس كل من استشفى بكلام الله شفاه الله، وذلك لنقص الأسباب المكمِّلة للإستشفاء في قلبه كاليقين والثقة والتوكل على الله لا على الأسباب،

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري:(675/5).

(2) القرآن كله شفاء بنص الآية وبقول الرسول عليه السلام:"عالجيها بكتاب الله"في السلسلة الصحيحة رقم:(1931) وصحيح الجامع:(3969).

وكذلك من أراد الهداية فعليه بالقرآن، ولكن ليس كل من بحث عن الهداية في القرآن يجدها وذلك لفقدانه لسبب من أسباب الهداية في قلبه قال تعالى:﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة:2]، فمن أراد الهداية و لم يكن من المتقين لا يجدها وإن كان من العلماء أو من حفظة كتاب الله رب العالمين، وكذلك الاحتجاب بكلام الله من أعين بعض الإنس يمكن وإن كان نادر الحدوث في ظروف مخصوصة ولأناس مخصوصين كما سيأتي بيانه[1]،

فالقرآن حجة باقية، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله. ففي الأثر أنه لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام رسول الله ﷺ وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال: "﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الأنعام: 115] فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي رضي الله عنه قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم ضرب الثانية وقال: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ فندر الثلث الآخر فبرقت برقة فرآها سلمان، ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ فندر الثلث الباقي وخرج رسول الله ﷺ

(1) انظر وقوع الاحتجاب ص:(55) من هذا الكتاب.

فأخذ رداءه وجلس..." [1] ففي الحديث استعان النبي ﷺ بآية من كتاب الله، ثم بالأسباب المادية المتاحة له، على تكسير الصخرة، ولم يستخدم النبي ﷺ الآية ابتداء بل أخذ عليه السلام بكل الاسباب اللازمة لوقاية المسلمين من العدو القادم! فقرروا حفر الخندق، ثم اعترضتهم صخرة عظيمة عجز الصحابة عن تكسيرها، عندها قرأ النبي ﷺ تلك الآية التي تشحذ الهمم وتملأ القلب ثقة بالله بأنه معينهم وناصرهم على كل من يعوق طريق انطلاقهم لنشر دين الله. وفي صحيح مسلم أمر النبي ﷺ المسلمين بالأخذ بالأسباب قدر المستطاع فإن لم يجدوا إلا جزأ من سبب لزمهم فعله، ثم أمرهم أن يكملوا ما نقص من الأسباب بذكر اسم الله فإنه يقوم مقام السبب، فعن جابر، عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: "غَطُّوا الإناءَ، وأوكوا السقاءَ، وأغلقوا البابَ، وأطفئوا السراجَ. فإن الشيطانَ لا يحُلُّ سقاءً، ولا يفتحُ باباً، لا يكشف إنَاءً. **فإن لم يجد أحدُكم إلا أن يعرُضَ على إنائهِ عُوداً، ويذكر اسم اللّه، فَلْيَفْعَلْ**. فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم"[2] فالحمد لله ولي المؤمنين يحفظ عليهم لقيمات في إناء، فكيف يكون حفظه لأوليائه!!

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه بتلاوة بعض آيات القرآن تصبح النار برداً وسلاماً على من اتقى الرحمن، كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من فتنة

(1) سنن النسائي: رقم:(3178)، كتاب الجهاد، غزوة الترك والحبشة.

(2) صحيح مسلم: رقم:(5246)، كتاب الأشربة، باب استحباب تخمير الإناء... طبعة دار السلام.

الدجال"[1]، وفتنته عظيمة جداً فعن هشام بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلى قِيامِ السّاعَةِ فَتْنَةٌ أَكْبَـرُ عِنْـدَ الله مِـنَ الدّجّالِ"[2]. وقد حذر منها كل نبي، لأنها من جنس المعجزات التي كانـت لدى الأنبياء، يظهر الدجال في زمن يكون فيه الناس في شدة وبلاء، "فقبـل ظهوره بثلاث سنوات تمنع السماء ماءها فلا تقطر قطرة، وتحـبس الأرض نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت"[3]، فيظهـر الدجال في ذاك الزمن والناس في شوق لظهوره من شدة الناء لعلمهم بأن معه الماء والطعام! عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :"ليأتين على أمـتي زمان يتمنون فيه الدجال.قلت:يا رسول الله بأبي وأمي! ممَّ ذاك؟! قال ممـا يلقون من العناء أو الضناء"[4] بل يبعث الله معه شياطين تكلم الناس علـى هيئة آباءهم وأمهاتهم الأموات! ومن عظيم فتنته "أنه يأمر السماء فتمطر **فيما يرى الناس!** ويقتل نفسا ثم يحييها **فيما يرى الناس** لا يسلط على غيرها من الناس، ويقول الناس من هول ما يرون وهل يفعل مثل هذا إلا الـرب عـز وجل!" [5] فيدعو الناس لعبادته، فيستجيب له أكثر الناس ولا حول ولا قوة

(1) مسند أحمد:(473/6)،رقم:(27608) دار الكتب العلمية. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة:رقـم:(582). صـحيح ابـن حبان:(65/3)، باب ذكر الاعتصام من الدجال بقراءة عشر آيات من سورة الكهف؛ صححه الألباني في التعليقات الحـسان علـى صحيح ابن حبان:(182/2)، رقم:(782).

(2) المستدرك على الصحيحين:(573/4)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه، دار الكتب العلمية.

(3) انظر الحديث في سنن ابن ماجه رقم: (4077) كتاب الفتن. صحيح الجامع للألباني رقم:(7875).

(4) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (259/1) كذا في السلسلة الصحيحة للألباني رقم: (3090).

(5) جزء من حديث في مسند أحمد (450/3) رقم:(14965) والحديث اسناده صحيح في المسند بتحقيق أحمد شاكر ومتممه بـرقم: (14895).

إلا بالله! أما عباد الرحمن فلهم شأن آخر مع هذه الفتنة العظيمة، فالله لطيف بعباده، رحيم بأولياءه، يحفظ لهم دينهم وينصرهم على من عاداهم، فعلى الرغم من انعدام الطعام والشراب في زمن الدجال، إلا إن الله قد جعل لهم ما يغنيهم عن الحاجة لهذا الطاغوت الذي يدعو الناس لعبادته من دون الله، فجعل الله لهم التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل يقوم مقام الأكل والشرب، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ عندما سألته عائشة رضي الله عنها عمَّا يجزي المؤمنين من الطعام؟ فقال لها:" ما يجزي الملائكة، التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل"[1] ثم جعل الله لهم مخرجاً آخر لمن وصلت فتنة الدجال إليه خاصة، إما أن يؤمن به أو أن يلقى في النارالتي معه! فأمره أن يقرأ فواتح سورة الكهف لينجو من الاحتراق بالنار كما في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال ... ثم كان من قوله ﷺ أن قال: "وإن من فتنته أن معه جنةً ونارا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بنارِهِ فليستَغِثْ باللهِ وليقرأْ فواتِحَ الكهف. فتكون عليه برداً وسلاماً "[2] وفي رواية مسلم:"من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من فتنة الدجال"[3] وهذا هو المخرج الثاني لأولياء الرحمن من فتنة الدجال العظيمة، وهذا الحديث وغيره كثير في هذا الكتاب أوردته للمؤمنين بالغيب والمصدقين بالله ورسوله ﷺ، أما المنافقون والذين في

(1) أخرجه أحمد (6/75-76و125) وأبو يعلى(8/78/4607) كذا في السلسلة الصحيحة للألباني رقم:(3079).

(2) سنن ابن ماجه: رقم:(4077)؛ صحيح الجامع للألباني رقم:(7875)، فتح الباري شرح صحيح البخاري:(13/99)، دار الفكر.

(3) مختصر صحيح مسلم للألباني:(2098)، صحيح الجامع رقم:(6201).

قلوبهم مرض قد أنبأنا الله من أخبارهم أنهم كذَّبوا بالحق في صريح القــرآن، فكيف يؤمنون بخوارق العادات وكرامات الأولياء كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، يقول الله عنهم:﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[الأحزاب:62]

ومن العجيب أن يصدِّق بعض المؤمنين بأن عزائم الشرك والكفر التي ينفثها ساحر كافر بالله العظيم، تؤثر في بعــض النـــاس وإن كـــان مـــن الصالحين، ثم يشك في أن كلام الله العظيم الذي يتلوه عبد مـــن عبـــاده المتقين، وولي من أولياءه كريم، لا يؤثر في كافر لعين، أو منافق ذو لسان عليم!

واستكمالاً للفائدة لا بد لنا من وقفة تأمل وتدبر واستخراج للفوائد من خصوصية هذه الآيات العشر من سورة الكهف لتكون سبباً للنجـــاة مـــن صاحب أعظم فتنةٍ في تاريخ البشرية، فإن في سرد القصص وضرب الأمثال فوائد وإشارات وبشارات لأصحاب المنهج الواحد، فلو تأملت وبحثت عن العمل الذي قام به أصحاب الكهف ونالوا به حفظ الله ونـــصره وتخليـــد ذكرهم، لوجدته تحقيق التوحيد ونبذ الشرك وأهله وإيثار حيـــاة التـــشرد والمطاردة والعيش في الكهوف مع تحقيق التوحيد على التمتع بالأمن والأمان والعيش في زخرف الحياة الدنيا مع الكافرين قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَامُوا فَقَـــالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَـــيِّنٍ فَمَـــنْ**

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[الكهف:14-16] وأما عن خصوصية هذه الآيات لمن يقرؤها من هذه الأمة بالنجاة من فتنة الدجال ففيه إشارة بأن التوحيد الخالص ونبذ الشرك وأهله هو مفتاح النجاة من الفتن العظيمة، فكما نجَّى الله أصحاب الكهف الموحدين سينجي الله الموحدين في آخر الزمان من كل فتنة بما فيها فتنة الدجال، مع الإشارة إلى أن الثبات في وجه الطغيان واظهار زيفه للملأ أفضل من النجاة الشخصية منه، يدل على ذلك أن الفتى الذي يقف في وجه الدجال أفضل من كل من قرأ آيات النجاة من فتنته والتي جعلت النار لهم برداً وسلاماً. **وفي القصة إشارة إلى أن أهل التوحيد في كل زمان قلة مضطهدون مطلوبون، فلا يكن ذلك مدعاة لترك التوحيد والركون للظالمين ومداهنتهم، بل هو مدعاة للثَّبات على دين الله والثقة بوعده وحفظه لهم**، فما دام الأمر بالتبليغ والدعوة إلى التوحيد والنذارة من الشرك واجبة وعداوة الكافرين باقية فكذلك كرامة الله وحفظه ونصره مصاحبة للمخلصين من الدعاة والمجاهدين لا سيما إذا اشتد الكرب وكثر الأعداء وقل النصير والمعين.

يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله: "فالله العليم الحكيم قصَّ لنا القصص وأجرى خوارق العادات ليس ليدلل على وجوده وعظيم قدرته فقط، ولا لتصديق أنبيائه فقط، وإنما هو فوق ذلك لتقوية معنوية عباده

تقوية روحية جبارة، يعظم فيها توكلهم واعتمادهم عليه وثقتهم بنـصره، مستيقنين أنَّه سبحانه يجعل الحزن سهلا والمستحيل واقعا، وأنه لن يعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، وأنه يخلق أعظم شيء من لا شيء، وأنه يخلق بلا سبب، وأن الأكوان العلوية والسفلية لا يتعسر عليه منها شـيء أو يتحكم في قدرته منها شيء، بل هو الذي يجريها علـى خـلاف سـيرها وسننهما العادية، فيفلق البحر شطرين، يشق بينهما طريقاً في البحر يبـسا، كأن الماء لم يمر عليه أبداً، كما فعل ذلك لموسى وقومه، ويشق القمر نصفين أياماً لقريش وتصديقاً لمحمد ﷺ، ويوقف سير الشمس ليوشع بن نون خليفة موسى[1]، ويجمد نهر دجلة لجيش سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فيعبرونه لم تبتل أقدامهم، ويذلل البحر لخيل أبي العلاء الحضرمي رضي الله عنه[2]، ويسيل الماء لهم في رمال الدهناء لما عطشوا[3]، ويهزم الكفار يوم بدر بقبضة تراب يلقيها عليهم الرسول ﷺ قائلا: "شاهت الوجوه[4]" ويقول سبحانه:﴿ **وَمَـا رَمَيْـتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى** ﴾ [الأنفال: 17] [فأثبت لرسـوله ﷺ ابتـداء الرمي، ونفي عنه الإيصال الذي لم يحصل برميته فالرمي يراد بـه الحـذف والإيصال، فأثبت لنبيه ﷺ الحذف، ونفي عنه الإيصال[5]] وهو الذي يمـد عباده المؤمنين بالملائكة وبالريح والرعب وغير ذلك مما يدحض أعـداءهم،

---

(1) انظر صحيح البخاري: رقم:(3124)، كتاب فرض الخمس، باب قـول الـنبي ﷺ "أحلـت لكـم الغنـائم" حـديث؛ فـتح الباري:(221/6)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم:(202)،:(2226)، وصحيح الجامع:رقم (4153)و(5612).

(2) اسمه العلاء بن الحضرمي، كما في كتاب ثقات ابن حبان:(289/3) وغيره من كتب التراجم.

(3) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية:(278/11).

(4) صحيح مسلم رقم: (4619)، كتاب الجهاد، باب غزوة حنين.

(5) مابين المعقوفتين من كلام ابن القيم، انظر زاد المعاد في هدي خير العباد:(182/3).

فالإيمان بالمعجزات ينفع المؤمنين، والكفر بها يدحض الكافرين، إذ يأتيهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ولقوة إيمان عباده سبحانه بمدده زلزلوا الحصون بالتكبير الصادق، وأي معجزة أعظم من تقطيع أفئدة الكافرين وزلزلة حصونهم بالتكبير الصحيح[1]، ذلك التكبير الصادر من أدمغة لا تعرف اللهو واللغو، بل بقوة إيمانهم حاربوا أعظم دول العالم في وقتهم – فارس والروم – دون أن يستعينوا بدولة على حساب دولة أو يتملقوا دولة ويهادنوها ليتفرغوا للدولة الأخرى، بل حاربوهم في وقت واحد، حاصرين استعانتهم بالله الذي ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، واستمروا وهم وأولادهم في الزحف المقدس حتى فتح الله عليهم أكثر المعمورة، وطبقت لغتهم بين الخافقين. أما الملاحدة الذين لا يؤمنون بالمعجزات على اختلاف طرائقهم فحياتهم على خطر كلما جدد الله الزحف المقدس على أيدي من شاء من عباده والله غالب على أمره."[2]

وقد سميت هذا البحث "استتار المضطرين واحتجاب أولياء الله المتقين"، وذلك لأن البحث يدور حول إمكانية حجب أبصار الكافرين والمنافقين عن رؤية بعض أولياء الله المتقين، ونظرا لورود اللفظتين"استتار، احتجاب" في الكتاب والسنة وعلى ألسنة بعض السلف الصالح، ولوجود معنيين مختلفين لكل لفظة عن الأخرى كما سيأتي بيانه قريبا[3].

(1) انظر أثر التهليل والتكبير والتسبيح في فتح المدن والحصون ص: (163) من هذا الكتاب.

(2) تفسير صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم:(2/139-140).

(3) انظر ص:(24) من هذا الكتاب.

ويتكون البحث من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، وهي كالتالي: -

المقدمة: بينت فيها الحكمة من إرسال الرسل وسنة الله في ابتلاء حملة هذا الدين بأعداء الملة والدين في كل زمان ومكان، ثم ألحقت ذلك ببيان سنة الله في نصر أوليائه بأنواع مختلفة من أسباب النصر والحفظ والرعاية.

الباب الأول: يتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خاص بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للفظتي البحث وهما مادتا "حجب وستر" ثم بينت الفرق بينهما، وبينت أن لفظة "حجب" هي المرادة من فكرة هذا البحث، ثم ذكرت تعريفها في الاصطلاح.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن أقسام الاحتجاب وأنه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: احتجاب طبعي، ينقسم إلى مبحثين أحدهما احتجاب الملائكة، وتضمن هذا المبحث نبذة عن الملائكة، ورؤية بعض بني آدم للملائكة، ومن رأى أثرا من آثار الملائكة أو سمع صوتهم، ورؤية الملائكة عند الموت. والآخر احتجاب الجن، وتضمن هذا المبحث نبذة عن الجن، ورؤية بعض بني آدم للجن.

القسم الثاني: احتجاب طارئ، وينقسم إلى ثلاثة مباحث: احتجاب جزئي فردي، احتجاب جزئي جماعي، احتجاب كلي منقطع.

الفصل الثالث : ينقسم إلى قسمين :-

القسم الأول :- الأغراض من الاحتجاب، ويتكون من خمسة مباحث، وهي: المبحث الأول: الخوف من العدو، المبحث الثاني: مراغمة

العدو، المبحث الثالث: التجسس على العدو، المبحث الرابع: قتل العدو والنكاية به، المبحث الخامس: فك العاني.

القسم الثاني: - وقوع الاحتجاب في تاريخ الإسلام، يتكون من مبحثين، الأول منهما:احتجاب النبي ﷺ من المشركين، سبب نزول آية الاحتجاب، الصواب في آيات الاحتجاب، علم خاص من الكتاب لمن بذل الأسباب. المبحث الثاني: احتجاب النبي ﷺ بين الخصوصية والعموم، والثاني: احتجاب بعض سلف هذه الأمة.

الفصل الرابع: طرق الاحتجاب، ويتكون من أربعة مباحث، المبحث الأول: الاحتجاب منَّة من الله تعالى، المبحث الثاني: الاحتجاب بالقرآن الكريم، طريقة قراءة الآيات، اصطحاب نية الاحتجاب، المبحث الثالث: الاحتجاب بالدعاء، المبحث الرابع: الاحتجاب بواسطة ملك.

الباب الثاني: وفيه فصلان :-

الفصل الأول: الحكم من الاحتجاب، ويتكون من ثلاثة مباحث، المبحث الأول: حفظ عباده الموحدين، المبحث الثاني: رعاية أوليائه المبلغين، المبحث الثالث: تثبيت المؤمنين الصادقين.

الفصل الثاني: ويتكون من أربعة مباحث، المبحث الأول: علاقة الاحتجاب بالولاية، ويشتمل على التالي: تعريف الولي، صفات الأولياء، أقسام الأولياء، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، الفرق بين كرامة الولي وما يشبهها من الأحوال الشيطانية،تنبيه على أن أولياء الله بشر غير معصومين، الرد على من أنكر كرامات الأولياء.

المبحث الثاني: مجالات الولاية، وهي: مجال الكشف، مجال السمع والرؤية والعلم، مجال التأثير.

المبحث الثالث: متى تخرق العادة، أسباب خرق العادة، أمثلة لمن استجاب الله دعاءهم، فوائد وعبر من قصة موسى عليه السلام مع فرعون.

المبحث الرابع: صور من كرامات الأولياء التي سببها الحجة لإظهار دين الله، والأخرى سببها الحاجة إلى الطعام والشراب.

الباب الثالث: - وفيه فصلان:

الفصل الأول: أعمال المحتجب، ويتكون من حالين، حال الاضطرار، ويشتمل على عدة مباحث، منها: الأخذ بالأسباب، الدعاء، أمثلة لمن استجاب الله دعاءهم، التذكير بآيات الاحتجاب، التخلص من الخوف. والحال الثاني: غير حال الاضطرار، ويشتمل على مبحثين رئيسين، المبحث الأول: التهيئة النفسية، وتشتمل على عشرة عناوين، المبحث الثاني: التهيئة العملية وتشتمل على أربعة عناوين.

الفصل الثاني: إمكانية عدم وقوع الاحتجاب، ويتكون من مبحثين، الأول منهما أعمال الأسير ويشتمل على أربعة عناوين، والمبحث الثاني: سردت فيه بعض القصص لأسرى السلف، ثم خاتمة البحث.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،،

الباب الأول

الفصل الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي لمادتي "حجب" و"ستر".

الفصل الثاني : أقسام الاحتجاب.

الفصل الثالث : الأغراض من الاحتجاب.

الفصل الرابع : طرق الاحتجاب.

الفصل الأول
التعريف اللغوي والاصطلاحي لمادتي "حجب" و"ستر"

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفي أثره إلى يوم الدين.. أما بعد..

فنظرا لورود هذه الألفاظ "حجاباً، مستوراً، يستربي" في الأدلة التي يقوم عليها البحث من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كان من المناسب النظر في معنى الكلمتين "حجب، ستر" في المصادر ليتبين الفرق بين المعنيين ويتضح الخصوص والعموم منهما:

الاحتجاب في اللغة:

قال ابن فارس: "الحاء والجيم والباء أصل واحد ، وهو المنع. يقال حجبته عن كذا، أي منعته. وحجاب الجوف ما يحجب بين الفؤاد وسائر الجوف"[(1)]

وقال ابن منظور: "كل ما حال بين شيئين: حجاب، وقال: كل شيء منع شيئاً فقد حجبه. ثم قال قد احتجب وتحجب إذا اكتن من وراء حجاب. وقال: وقوله في حديث الصلاة: "حين توارت بالحجاب" الحجاب ههنا: الأفق، يريد: حين غابت الشمس في الأفق واستترت به، ومنه قوله تعالى:﴿**حَتَّى تَوَارَت بِالحِجَابِ**﴾ [ص: 32] وحجاب الجوف ما يحجب بين الفؤاد وسائره.

(1) معجم مقاييس اللغة:(143/2).

ثم فسر الحجاب بأنه الستر بمعنى تخفي المحجوب عن الأبصار فقال: امرأة محجوبة قد سترت بستر. والحجاب: الستر. حجب الشيء يحجبه حجبا وحجابا وحجبه: ستره"[1]

الاستتار في اللغة :

فهو مأخوذ من الستر يقول ابن فارس: "السين والتاء والراء، كلمة تدل على الغطاء.

تقول: سترت الشيء سترا. والسُترة: ما استترت به كائنا ما كان."[2]

ويقول ابن منظور: (ستر) ستر الشَي يستره سترا وسترا: أخفاه والستر ، بالفتح: مصدر سترت الشيء أستره إذا غطيته ، فاستتر هو.

وتستر أي تغطى. وقال في قوله تعالى:﴿**جَعَلْنَا بَينَكَ وَبَينَ الَّذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَستُورًا**﴾[الإسراء:45] قال ابن سيده: يجوز أن يكون مفعولا في معنى فاعل ، كقوله تعالى:﴿**إِنَّهُ كَانَ وَعدُهُ مَأتِيًّا**﴾ [مريم: 61] أي آتيا، قال أهل اللغة: مستور ههنا بمعنى ساتر، وتأويل الحجاب المطيع، وقال ثعلب: معنى مستورا مانعا، وجاء على لفظ مفعول لأنه ستر عن العبد، وقيل: حجابا مستورا: أي حجابا على حجاب، والأول مستور بالثاني، يراد بذلك كثافة الحجاب لأنه جعل على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقر[3].

---

(1) لسان العرب:(777/2).

(2) معجم مقاييس اللغة:(143/2).

(3) لسان العرب:(777/2).

الفرق بين الاحتجاب والاستتار:

الاحتجاب يتميز عن الاستتار بالتالي:

الحجاب يمنع الأبصار من رؤية المحجوب بالكامل كقولك: "امـــرأة محجوبة".

الحجاب هو ما يحول بينك وبين الغير دون اشتراط القرب أو البعد منه كقولك: "حال الغيم بيننا وبين الشمس".

الحجاب ليس من شرطه منع المحجوب من التحرك لأن الأصل فيـــه المنع من الرؤية وليس منع المحجوب من الحركة.

الاحتجاب يعقبه استخدام حرف الجر "عـــن" الـــذي يـــستخدم للمجاوزة أو "من" الذي يستخدم للتعليل فتقول: "حُجب الموقـــع عـــن الجمهور، حُجبت الجريدة من الصدور، احتجب زيد عن بصر عمـــرو، احتجبت هند من الرجال".

الاستتار يتميز عن الاحتجاب بالتالي:

الاستتار هو إخفاء شيء بشيء أو تغطيته.

تستر بالسخاءِ فكُل عيبٍ   يُغطيه كما قيل السخاء

الاستتار بالكمون خلف حائط أو نحوه بحيث إذا تخلى عن مكانـــه زال الاستتار وظهر المستتر.

الستر يكون للجزء كقولك: "ستر زيد عورته" ، ويكـــون للكـــل كقولك: "استتر الظبي بالجبل".

الستر هو ما يسترك عن الغير مع اشتراط القرب من المـــستور بـــه كقولك: "استترت بالحائط".

الستر من شرطه عدم لفت الانتباه بصوت أو حركة لأن الأصل فيه التغطي والتخفي عن المستور عنه.

الاستتار يعقبه استخدام حرف "باء الجر" الذي يفيد الظرفية المكانية والإلصاق كقولك:"استترت بالحائط".

يتبين مما سبق أن الاحتجاب في اللغة أعم من الاستتار لأن الحجاب من شأنه المنع، وأصله الحيلولة بين الرائي والمرئي، والمراد منه منع الأبصار من الرؤية مع إمكانية التحرك. والأصل في الاستتار التخفي والكمـــون، فليس كل محتجب مستترا ولا كُلٌّ من كان مستترا يكون محتجبـــاً، لأن المحتجب لا يكون متخفيا بل يوجد ما حال بينه وبين من احتجب عنـــه مثال ذلك: من احتجب عن الناس بحاجب على بابه فلا يكون المحجوب مستتراً ومتخفيا عن المحجوبين لكن منع من رؤيتهم لـــه ولقـــائهم بـــه الحاجب، وأما المستتر فهو متخف عمن استتر عنه فهو لا يريده أن يعلم بوجوده. كقولك: تستر اللص بالبيت عن الشُرَط. فإذا عرفت الفرق بين الحجب والستر عرفت الحكمة من عدم جواز لبس المحرمة للقفازين مـــع أفضلية حجبهما عن الأنظار داخل الحجاب"العباية".

التعريف الاصطلاحي:

بناء على ماسبق بيانه، يكون المعنى الأقرب للبحث هو مـــا يخـــص كلمة "الاحتجاب" ونظرا لعدم ورود تعريف اصطلاحي جـــامع لهـــذه الكلمة في المصادر المتاحة بين يديَّ فقد صغتُ معناه فقلت:

الاحتجاب هو منع الأعداء من رؤية المحتجب بحجاب غير مـــادي لتحقيق غاية، إذا توفرت فيه شروط وانتفت عنه موانع.

الفصل الثاني
أقسام الاحتجاب

أولا: احتجاب طبعي:

وهو صفة في بعض المخلوقات مثل الملائكة والجن فإن هذه المخلوقات لا تظهر لبني آدم لأن الله لم يمكن أبصارنا من رؤيتهم إلا ما ثبت بالدليل الشرعي كما سيأتي بيانه.

القسم الأول: احتجاب الملائكة :

اتفق أهل الأديان السماوية على الإيمان بوجود الملائكة مع الاعتراف بعدم القدرة على رؤيتها، وقد اتضح ذلك جلياً عندما أقر الله عز وجل مقولة الشيطان في عدم قدرةِ البشر على رؤية الملائكة، وذلك عندما شارك إبليس كفار قريش في غزوة بدر الكبرى وهو على هيئة سراقة بن مالك[1]، قال تعالى:﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[الأنفال: 48] وفي الحديث قال الرسول ﷺ: "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون.." [2]. ففي هذا دلالة على احتجاب الملائكة عن بني آدم. إلا أن بعض أعمال الملائكة لها أثر يمكن أن يراه البشر مثل أثر نزول الوحي على النبي ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: "

---

(1) مختصر سيرة الرسول ﷺ ص:(203).

(2) أخرجه أحمد في مسنده:(206/5) رقم:(21572) دار الكتب العلمية. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم:(1722)، وصحيح الجامع رقم: (2449).

ولقد رأيته يترل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينــه ليتفــصد عرقا"[1] ومثل قيام بعض الملائكة بقبض أرواح المؤمنين والكافرين، وقتال الملائكة مع المؤمنين في بعض الغزوات. كما ثبت ذلك عن ابــن عبــاس رضي الله عنهما في قصة الصحابي الذي سمع صوت فــارس في إحــدى المعارك وهو يقول: "أقدم حيزوم" فجاء الأنصاري فحدث ذلك رســول الله ﷺ فقال: "صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة"[2]. فكثير من الناس رأوا آثار أعمال الملائكة و لم يثبت أهم رأوها. فالملائكة الكرام هم عباد الرحمن، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان الستة، لا يقبل الله من العبد صرفاً ولا عدلاً حتى يؤمن بهم.

رؤية بعض بني آدم للملائكة:

لا يرى الملائكة والجن على صورهم التي خلقوا عليهــا في الحيــاة الدنيا إلا الأنبياء وأما غيرهم فيمكن أن يروهم على هيئات مختلفة كمــا ثبت ذلك بالدليل الشرعي ويأتي بيانه بعد إثبات رؤية الأنبياء للملائكة:

1- الأنبياء والرسل :

ذكر الله عز وجل أنه أنزل الوحي على أنبيائه ورسله ومنــهم مــن ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَــى نُــوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُــوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُــلَيْمَانَ وَآتَيْنَــا دَاوُودَ زَبُوراً** ﴾ [النساء: 163] فكل هؤلاء الأنبياء والمرسلين وغيرهم رأوا مــن

(1) صحيح البخاري رقم:(2)، كتاب بدء الوحي.

(2) صحيح مسلم رقم:(4588)، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.

أرسله الله إليهم من الملائكة إما على الهيئة التي خلقهم الله عليها أوعلى أي هيئة أخرى، قال الله تعالى﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: 51] والأغلب هو رؤيتهم للملائكة على هيئات أخرى غير التي خلقوا عليها، يدل على ذلك أن النبي ﷺ على كثرة ما أوحي إليه إلا أنه لم ير جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها إلا مرتين عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ "ذلك جبريل لم أره في صورته التي خلق فيها إلا مرتين.."[1]

المرة الأولى :

كانت دون السماء بالأفق الأعلى في بطحاء مكة، رفع رأسه فرآه في عنان السماء له ستمائة جناح[2]، كل جناح منها سد الأفق. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ [التكوير: 23] كما أخبر بذلك جابر ابن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ قال:"جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً. ثم نوديت، فنظرت فلم أر أحداً. ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء – جبريل عليه السلام– فأخذتني رجفة شديدة. فأتيت خديجة فقلت: دثروني. فدثروني. فصبوا علي ماء. فأنزل الله عز

(1) مسند أحمد: (263/6)، صحيح الجامع للألباني:رقم: (2362).

(2) قال عليه السلام:(رأيت جبريل له ستمائة جناح) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (3464).

وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ.قُمْ فَأَنذِرْ.وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ.وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾"[المدثر:1-4][1].

المرة الثانية :

كانت فوق السماء عند سدرة المنتهى ليلة المعراج قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى**﴾ [النجم: 13-14]. عن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: ﴿**لَقَد رَأَى مِن آيَاتِ رَبِّهِ الكُبرَى**﴾ [النجم: 18] قال: رأى جبريل في صورته، له ستمائة جناح "[2].

وفي الصحيح عن زر بن حبيش ﷺ أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوسَينِ أَو أَدنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ [النجم: 9-10] قال: حدثنا ابن مسعود ﷺ أنه رأى جبريل له ستمائة جناح [3]، وفي رواية عن عبد الله بن مسعود ﷺ أيضا: ﴿ **لَقَد رَأَى مِن آيَاتِ رَبِّهِ الكُبرَى**﴾ قال: "رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق"[4].

2- امرأة إبراهيم عليه السلام:

رأت الملائكة على هيئة بشر وخاطبتهم عندما جاءوهم بالبشرى قال الله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ.إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ.فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ.فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ.فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ.فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ**

---

(1) صحيح مسلم رقم:(406)، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي.

(2) صحيح مسلم رقم:(432)، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﴿ولقد رءاه نزلة أخرى﴾.

(3) صحيح البخاري رقم:(3232،4856،4857)، كتاب بدء الخلق .

(4) المرجع السابق رقم:(4858)، كتاب التفسير.

عَجُوزٌ عَقِيمٌ.قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ.قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ.قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ.لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾[الذاريات:24- 33]

3- مريم عليها السلام:

رأت جبريل عليه السلام على هيئة بشر سوي عندما بشرها بعيسى عليه السلام ، قال الله تعالى:**﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً.فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً.قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً.قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً﴾** [مريم: 16-19].

4- جبريل عليه السلام يعودُ رجلاً من الأنصار:

عاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار، فلما دنا من منزله سمعه يتكلم في الداخل، فلما استأذن عليه فلم ير أحداً، فقال له رسول الله ﷺ : سمعتك تكلم غيرك؟ قال: يا رسول الله! لقد دخلت الداخل اغتماماً بكلام الناس مما بي من الحمى، فدخل علي داخل ما رأيت رجلاً قط بعدك أكرم مجلساً ولا أحسن حديثاً منه، قال رسول الله ﷺ :" **ذاك جبريل عليه السلام، وإنَّ منكم لرجالاً لو أنَّ أحدَهم يُقسم على الله لأبرَّه**" [1].

(1) أخرجه البزار في "مسنده" (3/306-307-الكشف)، والطبراني في "المعجم الكبير"(12/11-12) و"الأوسط" (1/153/1/2873)،ومن طريقه: الضياء في "المختارة" (59/212/1-2)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (7/76) كذا في السلسلة الصحيحة للألباني رقم:(3135).

رؤية ومعاينة الملائكة عند الموت:

أخبرنا الله عز وجل عن رؤية جميع بني آدم للملائكة عند المــوت، فإذا نزل الموت بالعبد المؤمن نزلت عليه ملائكة بيض الوجوه تبشره برحمة الله، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ.نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ [فصلت:30-31]. وفي الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكته من السماء، بيض الوجوه...الخ"[1]، وهي تبشر الكفرة بالنار وغضب الجبار وتقرعهم يقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [الأنعام:93]

من رأى أثرا من آثار الملائكة أو سمع صوهم دون أن يراهم:

1- أسيد بن حضير رضي الله عنه :

كان أسيد بن حضير رضي الله عنه يقرأ سورة الكهف فرأى مثل الظلة فيهـــا أمثال المصابيح، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قال: أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ رضي الله عنه ، بَيْنَمَا هُوَ ، لَيْلَةً، يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ. إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ. فَقَرَأَ. ثُـــمَّ جَالَـــتْ أُخْرَىٰ. فَقَرَأَ. ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً. قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَىٰ. فَقُمْتُ

(1) أخرجه احمد في مسنده:(352/4)، رقم:(18561) دار الكتب العلمية، وابن ابي شيبة في مصنفه:(256/3) بلفظ "ملائكة" ؛ وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى:(282/4) وقال: حديث حسن ثابت.

إِلَيْهَا. فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي. فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ. عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا. قَالَ فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي. إِذْ جَالَتْ فَرَسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : "اقْرَإِ. ابْنَ حُضَيْرٍ" قَالَ: فَقرَأْتُ. ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : "اقْرَإِ. ابْنَ حُضَيْرٍ" قَالَ: فَقَرَأْتُ. ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : "اقْرَإِ. ابْنَ حُضَيْرٍ" قَالَ فَانْصَرَفْتُ. وَكَانَ يَحْيَىٰ قَرِيباً مِنْهَا. خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ. فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ. فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ. عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : "تِلْكَ الْمَلاَئِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ. وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ، مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ""[(1)]، وفي رواية البخاري: " بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: "اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير". قال:فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال:"وتدري ما ذاك". قال: لا، قال: "تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم""[(2)].

---

(1) صحيح مسلم رقم:(1859)،كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن. وفي لفظ له " كان يقرأ سورة الكهف" رقم:(1856).

(2) صحيح البخاري رقم:(5018)، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن.

قال النووي: " في هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة"[1]، يقول ابن حجر:كذا أطلق – أي النووي – وهو صحيح لكن الذي يظهر التقييد بالصالح مثلا والحسن الصوت،.ثم ذكر ابن حجر قول النووي "وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة" ثم تعقبه ابن حجر فقال: الحكم المذكور أعم من الدليل، فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة، ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر، وإلا لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ[2] .

يدل على ما سبق قول النبي ﷺ لحنظلة ﷺ: "والذي نفسي بيده إنْ لوْ تَدُومُونَ على ما تكونون عِنْدِي وفي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الملائكةُ على فُرُشِكُم وفي طُرُقِكُم ولكنْ يا حنظلةُ ساعةً ساعةً" ثلاثَ مِرَار[3]. وفي رواية أخرى فقال عليه السلام " يا حنظلةُ ساعةً وساعةً ولو كانتْ تكونُ قُلُوبُكُم كما تكونُ عند الذِّكْرِ، لصافَحَتْكُمُ الملائكَةُ حتى تُسَلِّمَ عليْكُمْ في الطُّرُقِ". وفي رواية:" قال أصحاب النبي ﷺ : يا رسول الله إنا إذا كنَّا عندك رأينا من أنفسنا ما نحب فإذا رجعنا إلى أهلنا فخالطناهم أنكرنا أنفسنا فقال النبي ﷺ :" لو تدومون على ما تكون عندي وفي الخلا لصافحتكم الملائكة حتى تظلكم بأجنحتها عياناً"[4]

(1) شرح النووي على صحيح مسلم:(323/6)؛ الديباج على صحيح مسلم للسيوطي: رقم:(796).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري:(64/9).

(3) صحيح مسلم رقم:(6966،6967)، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة..؛ اكمال المعلم بفوائد مسلم:(249/8)، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني بلفظ مختلف، رقم:(2235) وفي صحيح الجامع بألفاظ أخرى:(5252، 5253،7073).

(4) مصنف عبدالرزاق كذا في كرامات الأولياء للالكائي تحقيق د. أحمد سعد حمدان ص: 103. وفي السلسة الصحيحة للألباني برقم: (1965).

2- عمران بن حصين :

عن مطرِّف بن عبد الله، أن عمران بن حصين قال: "اعلم يا مطرف أنه كان تسلم الملائكة عليَّ عند رأسي وعند البيت وعند باب الحجر، فلما اكتويت ذهب ذلك، فلما برئ كلّمه قال: اعلم يا مطرف أنه عاد إلي الذي كنت أفقد؛ اكتم علي يا مطرف حتى أموت"(1).وقال الحافظ ابن كثير: " كانت الملائكة تسلم عليه فلما اكتوى انقطع عنه سلامهم عليه ثم عادوا قبل موته بقليل فكانوا يسلمون عليه رضي الله عنه وعن أبيه"(2).

3- أحد الصحابة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: "أقدم حيزوم"، إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا قال: فنظر إليه فإذا هو قد حطم وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال:"صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة".فسمع ضربة السوط ثم رأى أثرها على وجه المشرك وسمع صوت الفارس وهو يقول أقدم حيزوم"(3).

4- السامري من قوم موسى عليه السلام:

أخبرنا الله عز وجل أن السامري رأى شيئا لم يره غيره فقال سبحانه: ﴿**قَالَ فَمَا خَطبُكَ يَاسَامِرِيُّ.قَالَ بَصُرتُ بِمَا لَم يَبصُرُوا بِهِ**

(1) المستدرك على الصحيحين:(536/3)، دار الكتب العلمية؛ شرح النووي على صحيح مسلم:(159/8)، دار الفكر.
(2) البداية والنهاية:(58/4) وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية:(276/11).
(3) تقدم تخريجه ص:(30).

فَقَبَضتُ قَبضَةً مِن أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَت لِي نَفسِي﴾[طه:95-96]. كان ذلك عندما أخذ قبضة من تراب مسه حافر فرس جبريل عليه السلام كما ذكر ذلك الشنقيطي صاحب أضواء البيان رحمه الله.[1]

القسم الثاني: احتجاب الجن والشياطين:

الشيطان هو كل عات متمرد من الجن أو الإنس والدواب، وقيل إن الشياطين العصاة من الجن هم ولد إبليس. وهم على ثلاثة أصناف كما صح عن النبي ﷺ أنه قال:" الجن ثلاثة أصناف، فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون"[2] فالجن خلق من خلق الله يجب الإيمان بهم لقول الله تعالى: **﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾** [الرحمن: 15] واحتجاب الجن عن أعين بني آدم ثابت بالكتاب والسنة وبالمتواتر من الأخبار قال الله تعالى: **﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾** [الأعراف:27]، وفي الصحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "..اكفتوا صبيانكم عند المساء ؛ فإن للجن انتشاراً وخطفة.."[3].

رؤية بعض بني آدم للجن والشياطين:

ثبت بالكتاب والسنة رؤية بعض الناس للجن والشياطين كما بيَّن اللهُ لنا ذلك لمن يتعلم السحر قال تعالى: **﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى**

(1) تفسير أضواء البيان للشنقيطي:(539/4).

(2) صحيح الجامع للألباني رقم:(3114).

(3) أخرجه البخاري رقم:(3316)، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم...

مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 102]

وهذا الأمر مشتهر بين الناس ومسطَّر في كتب تعلم السحر أو ما تسمى بالروحانيات، ويمكن لبعض القراء أو غيرهم أن يروا الجن أو يتخاطبوا معهم بدون تعلم السحر كما هو معلوم من الأحكام الشرعية في حكم الاستعانة بالجن فيما يقدر عليه الإنس، وهذا لا يعني أنه يمكن رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها، فالله عز وجل يقول: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ**﴾ [الأعراف: 27]، وأثر عن الإمام الشافعي أنه قال: "من زعم أنه رأى الجن عزر لمخالفته القرآن"[1] فالمعنى أنّا لا نراهم على صورهم الأصلية التي خلقوا عليها لبعد التباين بيننا وبينهم في ذلك لأنهم أجسام نارية في غاية الخفاء والاشتباه.

ويمكن للملائكة والشياطين أن يرى بعضهم البعض قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال:48].

(1) مرقاة المفاتيح ملا علي قاري،:(611/4)، دار الفكر.

ثانيا: احتجاب طارئ:

القسم الأول: احتجاب جزئي فردي:

هذا النوع من الاحتجاب على العكس مما ورد في احتجاب الجن، حيث يكون احتجاب الجن عن أعين بني آدم أما هذا النوع فهو احتجاب جزء من بني آدم عن أعين الجن ويكون على مستوى الأفراد ويسمى استتاراً، كما صح عن النبي ﷺ أنه قال: "ستر مابين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الخلاء أن يقول: بسم الله"(1).

القسم الثاني: احتجاب جزئي جماعي:

ويكون على مستوى الجماعات ويسمى تقليلاً وهو تقليل جيش الكفار في أعين المسلمين لكي لا يهابوهم أو لأمر يريده الله تعالى أو تقليل جيش المسلمين في أعين الكفار فيروهم قليلا استدراجاً ومكراً بهم كما حدث في غزوة بدر الكبرى قال الله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾ [آل عمران: 13] وقال سبحانه: ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ**﴾ [الأنفال: 43-44] يقول عبد الله بن مسعود قال: "لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم

(1) أخرجه الترمذي:(606) طبعة دار السلام. ابن ماجه:(297) طبعة دار السلام. الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الجامع:رقم (3610) بلفظ:"ستر ...إذا وضع أحدهم ثوبه أن يقول ..".

بدر حتى قلتُ لرجل إلى جنبي تراهم سبعين ؟ قال: لا بل مائة، حتى أخذنا رجلاً منهم فسألناه فقال: كنَّا ألفا" [1].

القسم الثالث: احتجاب كلي منقطع:

وهو احتجاب بعض أولياء الله المتقين من أنصار هذا الدين عن أعين أعداء الله المجرمين كما حدث للرسول ﷺ عند الهجرة [2]، وكما حدث للحسن البصري رحمه الله عندما حجبه الله تعالى عن أبصار جند الحجاج[3]، وكما حدث للقرطبي رحمه الله تعالى وغيره عندما طلبه العدو فقرأ قرآنا احتجب به عن أعينهم[4] كما سيأتي بيانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن رجال الغيب:" فبينت أن رجال الغيب هم الجن كما قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً**﴾ [الجن:6] ومن ظن أنهم إنس فمن جهله وغلطه، فإن الإنس يؤنسون أي يشهدون ويرون، **إنما يحتجب الإنسي أحيانا، لا يكون دائما محتجباً عن أبصار الأنس**، بخلاف الجن فإنهم كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ**﴾ [الأعراف: 27]"[5].

كما سُئل رحمه الله: هل في هذه الأمة أقوام صالحون غَيَّبهم الله عن الناس لا يراهم إلا من أرادوا؟ ولو كانوا بين الناس فهم محجوبون بحالهم؟

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة: رقم:(165). انظر: تفسير الطبري:(193/2)؛ وأبو الشيخ وابن مردويه كذا في الدر المنثور:(74/4)؛ انظر: تفسير ابن كثير:(328/2)؛ تفسيرالقرطبي:(26/4)؛ فتح القدير:(456/2).

(2) انظر ص: (75).

(3) انظر ص:(73).

(4) انظر ص:(73).

(5) مجموع فتاوى ابن تيمية:(218/13).

... فأجاب: "الحمد لله رب العالمين. أما وجود أقوام يحتجبون عن الناس دائماً فهذا باطل، لم يكن لأحد من الأنبياء ولا الأولياء ولا السحرة؛ **ولكن قد يحتجب الرجل بعض الأوقات عن بعض الناس: إما كرامة لولي، وإما على سبيل السحر**. فإن هذه الأحوال منها ما هو حال رحماني، وهو كرامات أولياء الله المتبعين للكتاب والسنة، وهم المؤمنون المتقون. ومنه ما هو حال نفساني أو شيطاني، كما يحصل لبعض الكفار أن يكاشف أحيانا، وكما يحصل لبعض الكهان أن تخبره الشياطين بأشياء. وأحوال أهل البدع هي من هذا الباب" [1].

وقال رحمه الله:" وليس في أولياء الله المتقين، ولا عباد الله المخلصين، الصالحين ولا أنبيائه المرسلين، من كان غائب الجسد دائماً عن أبصار الناس بل هذا من جنس قول القائلين إن علياً في السحاب، وأن محمد بن الحنفية في جبل رضوى، وأن محمد بن الحسن بسرداب سامري وأن الحاكم بجبل مصر، وأن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان، فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان؛ **نعم قد تخرق العادة في حق الشخص، فيغيب تارة عن أبصار الناس إما لدفع عدو عنه، وإما لغير ذلك، واما أنه يكون هكذا طول عمره باطل**"[2]

(1) المرجع السابق:(497/27).
(2) المرجع السابق:(443/11).

الفصل الثالث
الأغراض من الاحتجاب

من الطبيعي لأي إنسان إذا شعر بخطر ما يهدد حياته أو مبادئه، أن يتقي الضرر المتوقع بكل الوسائل الممكنة بحسب الحال ليكتفي شرَّ ذلك العدو مع الأخذ بالمستطاع من الأسباب المتاحة، فإذا احتاج الإنسان إلى الاستتار عن الأعداء فعليه أن يستتر بالطريقة الطبيعية المعروفة وهي الاختباء خلف شجر أو حجر ونحو ذلك، وأما الاحتجاب عن العدو[1] فليس طبعياً إذ يكون بطريقة غير مألوفة وغير ملموسة، يكون عن طريق الدعاء أو عن طريق تلاوة بعض الآيات من القرآن الكريم، ولا يكون الاحتجاب دائماً ولا يكون في كل حال، بل يكون مؤقتا لبعض الأشخاص إذا توفرت فيهم شروط معينة، **وفي أحوال مخصوصة انعدمت معها الأسباب المادية**، ويكون إما لدفع ضرر أو لجلب مصلحة، وإليك بعض مسوغات الاحتجاب من الأعداء: -

1- الخوف من العدو:

الخوف أمر طبعي[2] يمكن وروده على الإنسان إذا شعر بخطر وهو من أنواع الإبتلاءات التي يبتلي الله بها عباده قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ**﴾ [البقرة: 155]، وقد يقع من بعض الأنبياء والرسل خوفاً مما يجهلون حقيقته أول الأمر. يقول الله تعالى لموسى عليه السلام حين أوجس خيفة من سحر السحرة: ﴿**قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى**﴾

---

(1) انظر الفرق بين الاستتار والاحتجاب ص:(26). وطرق الاحتجاب ص :(75).

(2) إذا حقق الإنسان التوحيد في الظاهر والباطن، فله الأمن التام..قال الله:"الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن.." انظر مجموع فتاوى ابن تيمية:(35/28).

[طه: 68]، فالخوف حالة تصيب الإنسان إذا توقع أمرا يسلبه أسباب السعادة والأمن كالخوف من الموت أومن بطش العدو أوخوفاً من الوقوع في أسر العدو أومن الوقوع فريسة لحيوان مفترس ونحو ذلك، وبالتالي يسعى الإنسان بفطرته للاحتراز مما يخاف بالأسباب المادية المتاحة له مع السعي الحثيث على تطوير هذه الأسباب وتنويعها، ومن هذه الأسباب توفير الأسلحة بأنواعها المختلفة ولبس الدروع الواقية وتشييد الحصون المنيعة وغير ذلك من الوسائل التي تحقق للإنسان السلامة والأمن إذا تعرض لخطر. وهناك حالة يعجز الإنسان خلالها من تحقيق الأمن والسلامة له مما يخاف، وهذه الحالة تكون عند فقده الأسباب المادية التي يحقق بها الأمن والسلامة أو لعجزه عن استخدامه لأي سبب كان دون تقصير منه أو إهمال، وفي هذه الحال إما أن يستسلم لعدوه مكرها أو أنه يحقق الأمن والسلامة بأخذه بالأسباب المعنوية كالتوجه إلى الله في أحلك المواقف فالله يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، فكيف إذا جمع الإنسان المسلم مع الاضطرار نصرة الدين والسعي لرفع الظلم عن المستضعفين من المسلمين؟! لا شك أن ذلك أدعى لتحقيق الأمن كما حدث للنبي ﷺ وقت الهجرة وفي الغار، وكما حدث لإبراهيم الخليل عليه السلام عندما ألقي في النار، وكما حدث لموسى عليه السلام وقومه عندما قالوا ﴿ **إِنَّا لَمُدرَكُونَ.قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهدِينِ**﴾ [الشعراء:61-62]، فإذا عجز المؤمن من تحقيق وسائل الأمن والسلامة

بالأسباب المادية المتاحة له دون تقصير منه فقد يتحقق له ذلك بإحـــدى طرق الاحتجاب المذكورة في الفصل الرابع من الكتاب[1].

2- مراغمة العدو:

المراغمة المغاضبة، وأرغم أهله وراغمهم: هجرهم. وراغم قومــه: نبذهم وخرج عنهم وعاداهم[2]، وجاء في الأثر: " بُعِثْتُ مرْغَمَةً"[3] أي هواناً وذلاً للمشركين، فمراغمة المشركين إذلالهم وإهانتهم[4] .

يقول ابن القيم رحمه الله:"عبودية المراغمة لا ينتبه لها إلا أُولو البصائر التامة، **ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له،** وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه، أحدها قوله: ﴿**وَمَن يُهَـــاجِرْ فِـــي سَـــبِيلِ اللّـــهِ يَجِـــدْ فِـــي الأَرْضِ مُرَاغَمًـــا كَـــثِيرًا وَسَعَةً**﴾[النساء:100]، سمى المهاجرَ الذي يهاجرُ إلى عبادة الله مراغمـــاً يراغم به عدو الله وعدوه، والله يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِـــي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِـــبَ لَهُـــم بِـــهِ عَمَـــلٌ صَـــالِحٌ إِنَّ اللّـــهَ لاَ يُـــضِيعُ أَجْـــرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[التوبة:120]، وقال تعالى في مَثَل رسول الله ﷺ وأتباعه: ﴿**وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** ﴾[الفتح:29]، **فمغايظة الكفار**

---

(1) انظر ص:(75) من هذا الكتاب.

(2) لسان العرب:(1684/3).

(3) النهاية في غريب الأثر:(239/2).

(4) لسان العرب:(1682/3).

غاية محبوبة للرب مطلوبةله فموافقته فيها من كمال العبودية، وشـــرع النبي ﷺ للمصلي إذا سها في صلاته سجدتين وقال إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان وفي رواية ترغيماً للشيطان وسماها المرغمتين.

فمن تعبد الله بمراغمةِ عدوه، فقد أخذ من الصِّديقية بسهمٍ وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه مـــن هذه المراغمة، ولأجل هذه المراغمة حمد التبختر بين الصفين والخـــيلاء، والتبختر عند صدقة السر حيث لا يراه إلا الله لما في ذلك من إرغام العدو وبذل محبوبه من نفسه وماله لله عز وجل.

وهذا بابٌ من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس ومـــن ذاق طعمه ولذته بكى على أيامه الأول. وبالله المستعان وعليه الـــتكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله"[1] .

فمراغمة الأعداء من هدي الأنبياء، فابراهيم الخليل عليه الـــسلام راغم طغاة عصره وتربص بهم وتحايل عليهم، على الرغم من استـــضعافه ووحدته، إلا أن إيمانه بلا إله إلا الله وأركانها وشـــروطها، أبى عليـــه أن يرضى بالعيش بين بني قومه وهم يعبدون الأوثان، فقام بعمل مثير للغاية، هو في عرف بعض حكماء اليوم تصرف عارٍ عن الحكمة!، لا مـــصلحة مرجوة من وراءه!. ولكن الله الحكيم وصف إبراهيم الخليل بالرشد، وأثنى على فعله، فقال سبحانه:﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِـــهِۦ عَـــٰلِمِينَ.إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـــٰذِهِ ٱلتَّمَـــاثِيلُ ٱلَّتِـــىٓ أَنـــتُمْ لَهَـــا عَـــٰكِفُونَ.قَالُوا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـــٰبِدِينَ.قَالَ لَقَـــدْ كُنـــتُمْ أَنـــتُمْ**

(1) مدارج السالكين:(226/1)، مكتبة ابن تيمية.

وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ.قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ.قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ.وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ.فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[الأنبياء:51:58].

ففي تعبيره عليه السلام بالكيد إيذان بصعوبة انتهاز الفرصة، وتوقفها على استعمال الحيلة، في كل زمان، لاسيما زمن النمرود على عتوه واستكباره، وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه.

ولقد استجاب رسول الله ﷺ لأمر ربه حينما أمره باتباع ملة أبيه إبراهيم:﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل: 123]، فراغم رسول الله ﷺ كفار قريش **وقت الهجرة، وليس بعد الفتح،** فذهب هو وعلي بن أبي طالب ؓ إلى الكعبة وكسرا صنماً عظيماً كان موثقاً فوق الكعبة، يقول علي ؓ : انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ:"اجلس" وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفاً فنزل، وجلس نبي الله ﷺ ، وقال:" اصعد على منكبي"، قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إليّ أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى استمكنت منه قال لي رسول الله ﷺ :"اقذف به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا

ورسول الله ﷺ نستبق، حتى توارينا بالبيت، خشية أن يلقانا أحد من الناس"[1].

فمراغمة الأعداء عبادة مشروعة، وتكون آكد مع العدو الذي لا يكف شره عنَّا، وليس كما يزعم بعض أصحاب الأهواء ومرضى القلوب ممن أخرج الله أضغانهم بأقلامهم حقداً وحسداً على ما أنعم الله به علينا من نِعَم الأمن والإيمان ووحدة الكلمة، فتراه يقول إن البراءة من الكافرين ليست من الدين في شئ، وتارة يطالب بتنقية المناهج الدراسية من كل ما يدعو إلى البراءة من الكفار، وأخرى يقول إن ديننا يأمرنا بالمحبة والسلام وقبول الآخر، ومرة يتهم من يتبرأ من الكفار بالغلو والتطرف والتكفير، فحسبنا الله ونعم الوكيل.قال الله عن أمثال هؤلاء:﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلائكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ. أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ. وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾[محمد:25-30].

(1) رواه أحمد في المسند:(105/1) رقم:(646)، دار الكتب العلمية، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند:(443/1) رقم:(644)، دار الحديث القاهرة.

3- التجسس على العدو:

التجسس على العدو أو جمع المعلومات عنه مطلب أساسي لجميع دول العالم، لما له من أهمية قصوى في معرفة حقيقة العدو، ومدى استعداده، وما هي جوانب الضعف والقوة عنده، ومن هم أولياؤه، ومن هم أعداؤه، فكل ذلك وغيره ينفع في حال العزم على اتخاذ قرار الحرب. وقد رغب الله جل جلاله المؤمنين في التجسس على العدو وأخذ الحيطة والحذر منه فقال:﴿**وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾[التوبة:5] وقال:﴿**وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ**﴾ [النساء: 102]، ولنا في رسول ﷺ أسوة حسنة، فلم يترك عليه السلام طريقا من الطرق التي بواسطتها يصل إلى أخبار العدو إلا سلكه، فكان يرسل العيون ويخرج بنفسه ويسأل الأسرى ويستنبط من أجوبتهم كما حدث مع الغلام الذي أسر قبيل غزوة بدر الكبرى فعلم الرسول ﷺ منه أمورا مهمة عن عدد جند الجيش ومدى استعداده ومن قادة الجيش ومكانه وموقعه، فعن أنس رضي الله عنه قال: "بعث النبي ﷺ بُسيسة عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان"[1].

قال ابراهيم التيمي عن أبيه: كنَّا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ،فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة رضي الله عنه : أنت كنت تفعل ذلك؟!، لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر- هو البرد- فقال رسول الله ﷺ: "ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة" فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم"، فسكتنا فلم يجبه منَّا أحد، ثم قال: "ألا

(1) رواه أبو داود: رقم:(2618) كتاب الجهاد، باب في بعث العيون، طبعة دار السلام

رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة"، فسكتنا فلم يجبه منَّا أحد، ثم قال: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة"، فسكتنا فلم يجبه منَّا أحد، فقال:" قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم"، فلم أجد بداً إذْ دعاني باسمي أن أقوم، قال ﷺ : "اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليَّ" فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في مثل الحمام[1]، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يَصْلِي ظهره بالنار، فوضعتُ سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرتُ قول رسول الله ﷺ "ولا تذعرهم عليَّ" ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها. فلم أزل نائما حتى أصبحت قال: "قم يا نومان"[2].

وفي رواية قال"من يأتيني بخبر القوم وأضمن له العودة"، فلم يقم أحد، فقال: "من يأتيني بخبر القوم فأضمن له العودة وله الجنة"، فلم يقم أحد، فقال للمرة الثالثة: "من يأتيني بخبر القوم وأضمن له العودة وله الجنة وأكون رفيقه في الجنة"، فلم يقم أحد، فقال الرسول ﷺ: "قم يا حذيفة وأتني بخبر القوم"، فذهب حذيفة وأتى بخبره ". وسبب عدم مبادرة الصحابة الكرام لامتثال أمر النبي ﷺ، على الرغم من الضمان لمن امتثل ذلك بالعودة والجنة ومرافقة النبي ﷺ فيها، وعلى الرغم من أن غزوة الأحزاب كانت مزلزلة لإيمان المؤمنين، لأنه اجتمع فيها كل أسباب التخلف عن الغزو من الخوف لكثرة العدو الخارجي وتحزبهم على الفئة

(1) يقول النووي عند شرح هذا الحديث: "يعني لم يجد البرد الذي يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئا بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي ﷺ وذهابه فيما وجهه له ودعائه ﷺ له واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي ﷺ، فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس" (387/12).

(2) صحيح مسلم رقم:(1788)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزب.

المؤمنة، ومن الداخل تخذيل المنافقين، ونقض عهـــود المعاهـــدين، إلا أن السبب في عدم المبادرة هو أن الغزوة كانت في ليلة شـــديدة الـــبرودة، شديدة الظلام، لاحظ ذلك في قول حذيفة بعدما استجاب لأمر الرسول ﷺ: فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في مثل الحِمام. أي ذهـــب عنه البرد الذي كان يشعر به من قبل.

4- قتل العدو والنكاية به:

صح عن النبي ﷺ أنه رغَّب في قتل بعض زعماء الكفـــار، ومـــن هؤلاء كعب بن الأشرف لعنه الله، وهو يهودي من طيء، وكانت أمـــه من بني النضير، وكان يؤذي رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويشبب في أشعاره بنساء المؤمنين، وذهب بعد وقعة بدر إلى مكة وألَّب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، فندب رسول الله ﷺ المسلمين إلى قتله فقال: "من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله"[1] فانتدب رجال مـــن الأنـــصار وكان منهم محمد بن مسلمة وعباد بن بشر بن وقش وأبو نائلـــة واسمـــه سلكان بن سلامة بن وقش وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضـــاعة والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر، وأذن لهم ﷺ أن يقولوا ما شاؤوا من كلام يخدعونه به وليس عليهم فيه جناح، فذهبوا إليه لـــيلاً، وتقدموا إليه بكلام موهم التعريض برسول الله ﷺ فاطمأن أليهم فلمـــا استمكنوا منه قتلوه، وجاءوا في آخر الليل وكانت ليلة مقمرة فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي فلما انصرف دعا لهم، وكان الحارث بن

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم:(4037)، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف. ومسلم رقـــم:(4664)، كتـــاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود.

أوس قد جرح ببعض سيوف أصحابه فتفل عليه الصلاة والسلام على جرحه فبرأ من وقته ثم أصبح اليهود يتكلمون في قتله ، فأذن ﷺ في قتل اليهود.

ومن هذا الحديث العظيم يتبين لنا جواز قتل من لم يكف شره عن الإسلام والمسلمين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن لم يندفع فساده في الأرض إلا بالقتل قتل"[1]، فمن رفع عقيرته من أعداء الدين وأعلن عداءه لله ولرسوله وللمؤمنين وهو في حصنه المنيع وبين جنده وحرسه، فعلى المؤمنين السعي بكل الوسائل المشروعة التي يُقِرَّها ديننا الحنيف للتخلص منه، بالدعاء وشراء ذمم من حوله أو استئجار من يقتله فإن لم يتمكن إلا بالذهاب بنفسه مع أخذه بكافة الأسباب والتي يغلب على الظن أنه بإمكانه تحقيق هدفه بتوفرها، فإذا جاء ما لم يكن في الحسبان فلا ييأس ولا يقنط بل تأسى بمن سجن من الصالحين السابقين، فمنهم من اشتغل بالدعوة إلى الله تعالى كيوسف عليه السلام، ومنهم جعل سجنه خلوة له يناجي فيها ربه ويتلذذ بذكره كابن تيمية رحمه الله، ومنهم من تحسَّر على سجنه لفوات المشاركة في ساحة الوغى لمجاهدة الكافرين كأبي محجن الثقفي. فالثبات على الحق وقت الشدائد والمحن نصر واعزاز ودعوة لدين الله تعالى.

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(28/108-109).

5- فك العاني:

فإن ظاهرة الأسر من النتائج الطبيعية للحروب، والواجب على المسلمين إنقاذ أسراهم كما أمر النبي الله ﷺ بذلك: "فكوا العاني"[1]، وفك العاني المسلم صورة من صور الولاء بين المسلم وأخيه المسلم وحق من حقوقه، فكل من يستطيع مساعدة أسرى المسلمين للعودة إلى بلدانهم وأهليهم يجب عليه أن يفعل ذلك، ويجب على الأسير أن يسعى جاهدا للهرب من معتقله ما أستطاع لذلك سبيلا، لينجو من فتنة الكافرين له وليحافظ على دينه، قال صاحب كتاب أحكام المجاهد بالنفس:" اتفق الفقهاء رحمهم الله – فيما أعلم- [على] أن المجاهد لو استطاع الهرب من أسر العدو فإن له أن يقتل من قدر عليه منهم، وأن يأخذ ما استطاع من أموالهم. جاء في الحاوي الكبير: المسلم إذا أسره أهل الحرب فالأسير مستضعف تكون الهجرة عليه إذا قدر عليها فرضا، ويجوز له أن يغتالهم في نفوسهم وأموالهم ويقتلهم إن أدركوه هارباً.- الحاوي الكبير 270/14- وعلى هذا فالمجاهد إذا وقع في أسر العدو فإن عليه أن يحاول الهرب بالوسائل الممكنة"[2].

وينبغي للأسير ألا يغفل عن سؤال الله وطلبه الهداية والدلالة والتوفيق والأخذ بكافة الأسباب الممكنة لتحقيق ذلك، وعليه تأمل ما يلقيه الله في رُوعه، من إلهام أو رؤية، فإن الوحي نوعان، وحي خاص بالأنبياء، ووحي عام للبشر وغير البشر، قال شيخ الإسلام رحمه الله:"وكما أخبر

---

(1) أخرجه البخاري رقم:(3046)، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، طبعة دار السلام.صحيح الجامع رقم:(4229)

(2) أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله في الفقه الإسلامي، د. مرعي بن عبدالله بن مرعي(439/2)، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، 1423هـ.

الله أن الملائكة توحي إلى البشر ما توحيه، وإن كان البشر لا يشعر بأنه من الملك كما لا يشعر بالشيطان الموسوس"[1]، فإذا أيس الأسير من مساعدة المخلوقين له، فلا ييأس من روح الله، ولا يقنط من رحمة الله، فالله قدير! فخذ بالأسباب، ومنها الدعاء والتضرع والإلحاح في الدعاء بأن يفك الله أسرك، ويجعل لك مخرجاً، وتأمل ما يلقيه الله في روعك، ولاحظ وتفكر! فإن الله عز وجل علّم أول قاتل كيف يدفن جثة أخيه، فقال سبحانه:﴿**فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ**﴾ [المائدة:31] وقد يكرمك الله برؤيا صالحة تكون سبباً في تفريج كربك، فعن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:" الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة"[2] وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لم يبق من النبوة إلا المبشرات" قالوا وما المبشرات؟ قال:"الرؤيا الصالحة"[3]. ويجب عليك الأخذ بكل الأسباب الممكنة من التخفي بالأسباب المادية، واستخدام الحيلة، والخروج في أفضل الأوقات وأهدئها، وتوكل على الله، وعلق قلبك به، ولا تتعلق بطرق الاحتجاب، فاللهُ مُقَدِر الأمور، ومفرِّج الكروب، ولن يحدث أكثر مما حدث، بل عش متفائلا وكلك أمل في النجاة بإذن الله تعالى، وإن حدث خلاف ذلك فثق بأن الخير كل الخير فيما اختاره الله لك فاثبت على الحق واعمل بطاعة الله وتقرب إليه بالفرائض والنوافل والدعوة إليه حتى يأتي أمر الله.

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(17/ 530،506)، انظر ص:(169) من هذا الكتاب.

(2) صحيح البخاري رقم: (6983)، كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين، طبعة دار السلام.

(3) المرجع السابق رقم: (6990).

وقوع الاحتجاب في تاريخ الإسلام:

أولا: احتجاب النبي ﷺ من المشركين:

من القرآن الكريم:

قال الله تعالى:﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُورا**﴾[الإسراء:45]

ذكر السيوطي رحمه الله في سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن شهاب رحمه الله قال:كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الله قالوا: يهزؤون﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾ [فصلت: 5]، فأنزل الله في ذلك من قولهم:﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً**﴾ [الإسراء: 45][1]

وأخرج ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قولهم:﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً**﴾ [الإسراء:45] قال:ذاك رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن على المشركين بمكة سمعوا صوته ولا يرونه[2].

(1) تفسير الدر المنثور:(337/4)؛ أخرجه السيوطي أيضا في لباب النقول في أسباب النزول ص:(181)، والحديث ضعفه مؤلفا الاستيعاب في بيان الأسباب لارساله:(439/2)، تأليف وتحقيق سليم الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1425هـ

(2) المرجع السابق:(337/4).

سبب نزول آية الاحتجاب[1] :

القول الأول:

أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن على الناس.روي أنه عليه الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلان، وعن يساره آخران من ولد قصي يصفقون ويصرخون ويخلطون عليه بالأشعار[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت:﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد:1] جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي ﷺ ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله! إنها امرأة بذيئة، وأخاف أن تؤذيك، فلو قمت! قال: "**إنها لن تراني**"[3]. فجاءت فقالت: يا أبا بكر! إن صاحبك هجاني، قال: لا، وما يقول الشعر، قالت: أنت عندي مصدق، وانصرفت، فقلت: يا رسول الله! لم ترك؟! قال: لا، **لم يزل ملك يسترني منها بجناحه**"[4].

وروى ابن عباس رضي الله عنه " أنَّ أبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا جهل وغيرهم, كانوا يجالسون النبي ﷺ ويستمعون إلى حديثه, فقال النَّضر يوماً: ما أدري ما يقول محمد، غير أنِّي أرى شَفَتيْهِ تتحركان بشيءٍ, فقال أبو سفيان: إنِّي أرى بعض ما يقوله حقًّا.

---

(1) تفسير الرازي:(351/20)، دار احياء التراث العربي .

(2) تفسير اللباب في علوم الكتاب، تفسير ابن عادل الدمشقي الحنبلي.(سورة الإسراء،آية:45).

(3) حسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح بن حبان:(237/9،236)؛ وصححه بشواهده شعيب الأرنؤوط في الاحسان على تقريب صحيح ابن حبان:(440/14)، رقم:(6511).

(4) صحيح ابن حبان:(440/14)، حسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح بن حبان:(236/9)، كتاب التاريخ، باب المعجزات، رقم:(6477).

وقال أبو جهل: هو مجنون.

وقال أبو لهب: كاهن، وقال حويطب بن عبدِ العزَّى: هو شاعر، فترلت هذه الآية، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد تلاوة القرآن، قرأ قبلها ثلاث آياتٍ، وهي قوله في سورة الكهف:﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً**﴾ [الكهف: 57]. وفي النحل:﴿**أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾ [النحل:108].وفي الجاثية:﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً**﴾ [الجاثية: 23]. فكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات، عن عيون المشركين، فكانوا يمرُّون به ولا يرونه.

وهو المراد من قوله:﴿**جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا**﴾[الإسراء:45]"[1].

القول الثاني:

إن معنى الحجاب: الطبع الذي على قلوبهم، والطبع والمنع الذي منعهم عن أن يدركوا لطائف القرآن ومحاسنه وفوائده[2]. وقال في معنى قوله تعالى:﴿**حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ و لم يقل حجاباً ساتراً أوجه:

---

(1) تفسير اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي الحنبلي. تفسير السراج المنير الشربيني الشافعي. تفسير الثعلبي:(سورة الإسراء،آية:45). تفسير القرطبي:(269/10).تفسير الرازي:(351/20) دار احياء التراث العربي .

(2) تفسير الفخر الرازي:(220/10) طبعة دار الفكر.

الوجه الأول: أن ذلك الحجاب، حجاب يخلقه الله تعالى في عيونهم بحيث يمنعهم ذلك الحجاب عن رؤية النبي ﷺ، وذلك الحجاب شـــيء لا يراه أحد فكان مستورا.

الوجه الثاني: في الجواب أنه كما يجوز أن يقال: لابن، تامر، بمعـــنى ذو لبن وذو تمر فكذلك لا يبعد أن يقال مستورا معناه ذو ستر، والدليل عليه قولهم مرطوب أي ذو رطوبة ولا يقال رطيبة، ويقال مكان مَهُـــول أي فيه هَول ولا يقال: هلت المكان بمعنى جعلت فيه الهول، ويقال: جارية مغنوجة ذات غُنج ولا يقال غنجتها.

الوجه الثالث: في الجواب قال الأخفش: المستور ههنا: بمعنى الساتر، فإن الفاعل قد يجيء بلفظ المفعول كما يقال: انك لمشؤوم علينا وميمون وإنما هو شائم ويامن، لأن من قولهم شأَمَهم ويَمَنَهم، هذا قول الأخفش: وتابعه عليه قوم، إلا أن كثيرا منهم طعن في هذا القول والحق هو الجواب الأول"[1].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: إن في هذه الآية وجهين من التفسير:

الأول: أن المعنى: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبـــين الـــذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا أي حائلا وساترا يمنعهم من تفهم القرآن وإدراكه لئلا يفقهوه فينتفعوا به. وعلى هذا فالحجاب المستور هو ما حجب الله به قلوبهم عن الانتفاع بكتابه.

(1) المرجع السابق:(223/10).

الثاني: أن المراد بالحجاب المستور أن الله يستره عن أعين الكفار فلا يرونه[1].

وقال الماوردي رحمه الله تعالى: "قوله:﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ [الإسراء: 45] قال فيه وجهان:

أحدهما: أي جعلنا القرآن حجابا ليسترك عنهم إذا قرأته.

الثاني: جعلنا القرآن حجابا يسترهم عن سماعه إذا جهرت به.

فعلى هذا فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لإعراضهم عن قراءتك كمن بينك وبينهم حجاب في عدم رؤيتك. قاله الحسن.

الثاني: أن الحجاب المستور أن طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه ، قاله قتادة.

الثالث: أنها نزلت في قوم كانوا يؤذونه في الليل إذا قرأ ، فحال الله بينه وبينهم من الأذى ، قاله الزجاج.

وقال رحمه الله في معنى ﴿**مَسْتُورًا**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الحجاب مستور عنكم لا ترونه.

الثاني: أن الحجاب ساتر عنكم ما وراءه، ويكون مستور بمعنى ساتر، وقيل إنها نزلت في بني عبد الدار"[2].

(1) تفسير أضواء البيان:(541/3، 302/8)، طبعة مكتبة بن تيمية.انظر:ص (10) من هذا الكتاب "ولا تعارض..الخ"

(2) النكت والعيون:(246/3)، طبعة دار الكتب العالمية.

قال الشوكاني رحمه الله: "في قوله تعالى ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ القُرآنَ**﴾ جعلنا بينك يا محمد وبين المشركين ﴿**الَّذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا**﴾ أي لإعراضهم عن قراءتك وتغافلهم عنك كمن بينك وبينه حجاب، يمرون بك ولا يرونك، ذكر معناه الزجاج وغيره ،... ومعنى مستورا ساترا، وقيل: هو حجاب لا تراه الأعين فهو مستور عنها.. وقيل المراد بالحجاب المستور: الطبع والختم، وقيل غير ذلك"[(1)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "فقد أخبر الله – ذما للمشركين – أنه إذا قرئ عليهم القرآن حجب بين أبصارهم وبين رسول الله بحجاب مستور، وجعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا" [(2)].

فبين شيخ الإسلام رحمه الله أنه في حال قراءة النبي ﷺ القرآن عليهم يحدث لهم أمران:

أولهما: أنه يحجب بين أبصارهم وبين رسول الله ﷺ بحجاب مستور.

الثاني: أنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا.

احتجاب النبي ﷺ في السنة النبوية:

ثبت في السنة النبوية أن الله حجب النبي ﷺ عمن أراده بسوء، فعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد: 1]؛ جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي ﷺ ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله! إنها امرأة بذيئة، وأخاف أن تؤذيك، فلو قمت! قال: "**إنها لن**

(1) فتح القدير:(331/3)، المكتبة التجارية.

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(284/13).

تراني"[1]. فجاءت فقالت: يا أبا بكر! إن صاحبك هجاني، قال: لا، وما يقول الشعر، قالت: أنت عندي مصدق، وانصرفت، فقلت: يا رسول الله! لم ترك؟! قال: لا، **لم يزل ملك يسترني منها بجناحه**"[2].

وصح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[المسد: 1] أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر[3] وهي تقول: مذمما أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبوبكر قال: يارسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: "**إنها لن تراني**" **وقرأ قرآنا اعتصم به** كما قال وقرأ:﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً**﴾ [الإسراء:45]. فوقفت على أبي بكر ولم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبابكر، إني أخبرت أن صاحبك هجاني؟ فقال: لا ورب هذا البيت، ما هجاك، فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها" [4].

وفي رواية أخرى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ... قال النبي ﷺ: لأبي بكر رضي الله عنه " قل لها، هل ترين عندي أحدا؟ **فإنها لن تراني، جُعل بيني وبينها حجاب**". فقال لها أبوبكر رضي الله عنه، فقالت: أتهزأ بي؟ والله ما أرى عندك أحدا[5].

---

(1) تقدم تخريجه ص:(56).

(2) تقدم تخريجه ص:(56).

(3) حجر ملء الكف.

(4) أخرجه الحاكم في المستدرك:(393/2)، كتاب التفسير، تفسير سورة بني اسرائيل، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(5) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في الدلائل كذا في الدر المنثور:(336/4) طبعة دار الكتب العلمية.

ومن السيرة: " إن ناساً من بني مخزوم تواصوا بـــالنبي ﷺ ليقتلـــوه منهم: أبو جهل والوليد بن المغيرة ونفر من بني مخزوم، فبينا النبي ﷺ قائم يصلي، فلما سمعوا قراءته أرسلوا الوليد ليقتله، فانطلق حـــتى انتـــهى إلى المكان الذي كان يصلي النبي ﷺ فيه، فجعل يسمع قراءتـــه ولا يـــراه، فانصرف إليهم فأعلمهم ذلك، فأتاه من بعده أبوجهل والوليد ونفر منهم فلما انتهوا إلى المكان الذي هو فيه يصلي سمعوا قراءتـــه فيـــذهبون إلى الصوت فإذا الصوت من خلفهم فينتهون إليه فيسمعونه أيضا من خلفهم، فانصرفوا و لم يجدوا إليه سبيلا، فذلك قوله:﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾ قال ابـــن عبـــاس رضي الله عنه "سداً غطاء، فأغشيناهم يقول ألبسنا أبـــصارهم، وغـــشيناهم فهـــم لا يبصرون النبي ﷺ فيؤذونه"[1]

الصواب في آيات الاحتجاب:

من المعلوم أن الأصول التي يحتاج إليها المسلمون لإقامة دين الله تعالى ثابتة بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة، وأما غيرها من فروع الدين ففيها ما هو ثابت وفيها غير ذلك، والآيات الثلاث التي ذكر المفسرون أن النبي ﷺ كان يحتجب بهن عن أعين المشركين، لم يثبت احتجابه بهـــا بـــسند صحيح عن النبي ﷺ ، ولعل هذا من رحمة الله بنا كـــي لا يُكـــذب الله ورسوله ﷺ إذا لم يقع الاحتجاب، فيظن ظان أنه بمجرد تلاوتـــه لهـــذه الآيات سوف يحجبه الله عن أبصار عدوه، دون اعتبار لأعمال القلـــوب وتطبيق شرع الله ظاهراً وباطناً.

(1) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي رقم:(196/2).

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" فالمقصود أن المنقولات التي يحتاج إليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره، ومعلوم أن المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي والملاحم، ولهذا قال الإمام أحمد: ثلاثة أمور ليس لها إسناد، التفسير والملاحم والمغازي، ويروى ليس لها أصل، أي إسناد، لأن الغالب عليها المراسيل".[1]

وقال رحمه الله عما كان يؤخذ عن أهل الكتاب:" كالمنقول عن كعب ووهب ومحمد ابن إسحاق وغيرهم ممن يأخذ عن أهل الكتاب **فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة**، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "**إذا حَدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه**"[2] وكذلك ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض، وما نقل في ذلك عن بعض الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما نقل عن بعض التابعين. لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى"[3].

فتخصيص هذه الآيات الثلاث للاحتجاب من أعين الأعداء، ونسبة فعل النبي ﷺ ذلك يحتاج إلى دليل صحيح، رغم ثبوت احتجاب النبي ﷺ عمن أراده بسوء بغير تلاوة هذه الآيات[4]، وقد احتجب بعض السلف بأكثر من طريقة فبعضهم احتجب عن عدوه عن

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(346/13).
(2) مسند الامام أحمد:(168/4)، رقم:(17230)، دار الكتب العلمية.
(3) مجموع فتاوى ابن تيمية:(344/13).
(4) انظر حديث "إنها لن تراني"ص: (56).

طريق الدعاء كالحسن البصري، وبعضهم قرأ آيات أخرى غير هذه الآيات الثلاث كالقرطبي اجتهادا منه فحجبه الله عن عدوه، فليس شرطاً الاقتصار على هذه الآيات الثلاث، بل يجوز بغيرها من آيات القران الكريم، كما قال صديق حسن القنوجي رحمه الله عند تفسيره آية الاحتجاب "**المراد بما في الآية مطلق القرآن أو ثلاث آيات مشهورات..**"(1).

ولنا ظاهر قول الله تعالى:﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً**﴾ [الإسراء: 45]. فلم يخصص الله تعالى لنا آيات معينة، بل قال "وإذا قرأت القرآن" فالبحث والاجتهاد بشكل فردي في مثل هذه المسألة سائغ، وقد قال القرطبي رحمه الله أنه قرأ أول سورة يس مع آيات أخر لم يبين لنا ما هي فحجبه الله عن أعداءه.

يقول الحافظ ابن حجر:" **جواز البحث في العلم حتى يظهر المعنى، وأن الكلام يحمل على عمومه وإطلاقه حتى تظهر إرادة التخصيص والتقييد**"(2)

فالاحتجاب بآيات من القرآن، أشبه ما تكون بليلة القدر وتحديد اسم الله الأعظم وأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة، فهي موجودة ولكن تحصيلها وتحقيقها يتوقف على توفيق الله تعالى، ثم بذل الجهد والبحث والتحري، يقول ابن العربي رحمه الله عن إحصاء أسماء الله الحسنى:" والذي أدلكم عليه أن تطلبوها في القرآن والسنة، فإنها مخبوءة فيهما كما خبئت ساعة الجمعة في اليوم، وليلة القدر في الشهر رغبة،

(1) تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن:(400/7)، المكتبة العصرية.
(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري:(675/5).

والكبائر في الذنوب رهبة؛ لِتَعُمَّ العبادات اليوم بجميعه وَالشهر بِكُلِّيَّتِـــهِ، وليقع الاجتناب لجميع الذنوب. وكذلك أخفيت هذه الأسماء المتعددة في جملة الأسماء الكُلِّيَّةِ، لِنَدْعُوَهُ بجميعها، فنصيب العدد الموعود به فيها"[1].

وقد سقت أقوال الأئمة في تفسير آية الاحتجاب، فلم يخل تفسير من ذكر أن للعلماء في تفسير الآية قولين، أحدهما أن الله يستره أو يحجبه عن أعين الأعداء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"**الواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله، وأما إذا خالف قول بعض الفقهاء، ووافق قول آخرين لم يكن لأحد أن يلزمه بقول المخالف ويقول هذا خـــالف الشرع**"[2].

فالبحث لن يخرج عن المعنى الظاهر للآية ولا عن أقوال العلماء، ويبقى ما يفتح الله به على العبد من فهم يخصه الله به، فهـــذه مـــسألة نسبية لا تختص بأحد دون أحد، فهذا الفهم ثمـــرة العبوديـــة والمتابعـــة والصدق مع الله والإخلاص له وبذل الجهد في تلقي العلم مـــن مـــشكاة رسوله ﷺ وكمال الإنقياد له فيفتح الله له من فهم الكتاب والسنة على قدر كمال عبوديته لربه.

يقول ابن القيم رحمه الله : " إن الاستنباط استخراجُ الأمر الذي مِنْ شأنه أن يخفي على غير مستنبطه، ومنه استنباطُ المـــاء مـــن أرض البئـــر والعين؛ ومن هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل: هل خـــصَّكم رسولُ الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: لا، والذي فَلَقَ الحبة وبَرَأَ النسمة

(1) احكام القران، ابن العربي:(805/2).

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(201/11).

إلا فَهْماً يؤتيه الله عبداً في كتابه[1]. ومعلوم أن هذا الفهم قدر زائد على معرفة موضوع اللفظ وعمومه أو خصوصه، فإن هذا قدر مشترك بين سائر مَنْ يعرف لغة العرب، وإنما هذا فَهْمُ لَوَازِمِ المعنى ونظائره ومراد المتكلم بكلامه ومعرفة حدود كلامه، بحيث لا يدخل فيها غير المراد، ولا يخرج منها شيء من المراد. وأنت إذا تأملت قولَه تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ.لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾[الواقعة: 77-79] وجَدْتَ الآية من أظهر الأدلة على نبوة النبي ﷺ وأن هذا القرآن جاء من عند الله، وأن الذي جاء به روحٌ مطهر، فما للأرواح الخبيثة عليه سبيل؛ ووجدت الآية أخْتَ قوله:﴿**وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ [الشعراء:210-211] ووجَدْتَهَا دالةً بأحسن الدلالة على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر، ووجدتها دالة أيضاً بألْطَفِ الدلالة على أنه لا يجد حلاوته وطعمه إلاَّ من آمَنَ به وعمل به... ﴿ **لَّا يَمَسُّهُ** ﴾ [الواقعة:79] لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا المؤمن لقوله تعالى:﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ [الجمعة:5] وتجد تحته أيضاً أنه لا يَنَالُ معانيه ويفهمه كما ينبغي إلا القلوبُ الطاهرة، وأن القلوب النجسة ممنوعة من فهمه مصروفة عنه، فتأمل هذا النسب القريب وعَقْدَ هذه الأخوة بين هذه المعاني وبين المعنى الظاهر من الآية واستنباط هذه المعاني كلها من الآية بأحسن وجه وأبينه"[2].

(1) صحيح البخاري: رقم:(2980)، باب فكاك الأسير.
(2) إعلام الموقعين:(176/1).

ويعلق ابن أبي جمرة رحمه الله فيقول:" هل الفهم في الكتاب معناه فهم الأمر والنهي من التحليل والتحريم ليس إلا؟ فإن كان هذا فقد حصل لمن تقدم و لم يبق للمتأخر شئ منه، لأن الأصول قد تقعَّدت، والأحكام قد ثبتت[1]، أو أن المقصود وما فيه من الحكم، وفوائد أمثاله وفهمها، وما الحكمة في كل مثل، والقصص كذلك، فإن كان هذا فهو لا ينقضي إلى يوم القيامة، ويأخذ منه المتقدم والمتأخر، كل بحسب ما قسم له والى ذلك أشار بقوله ﷺ فيه لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء[2]" [3].

علم خاص من الكتاب لمن بذل الأسباب[4]:

قصَّ الله عز وجل لنا قصة رجل صالح من قوم سليمان عليه السلام، لم يكن نبيا بل هو من عامة الناس، يذكر أهل التفسير[5] أن اسمه آصف بن برخيا، فتح الله عليه بعلم خاص من الكتاب، قال الله تعالى:﴿**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ.قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن**

---

(1) لا يخفي أن تتريل الأحكام الشرعية الثابتة من كتابٍ وسنةٍ على الوقائع المتجددة لا نهاية له، وهو في كل زمان بحسبه، وتلك مهمة العلماء دائما.

(2) الحديث رواه الترمذي في سننه، رقم:(2984)، باب ما جاء في فضائل القرآن.

(3) بهجة النفوس، ابن أبي جمرة الأندلسي:(128/2)، طبعة دار الجيل.

(4) انظر مجالات الولاية ص:(104) من هذا الكتاب.

(5) تفسير الطبري:(99/19)، دار المعرفة. تفسير ابن كثير:(176/6)، دار احياء التراث العربي

شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:38-40].

فينبغي لنا أن نعلم ما الفائدة التي يريد الله أن يعلمنا إياها من الإخبار بهذه القصة، ومالنا فيها من التأسي والاعتبار، لأنه لم تقص علينا القصص عبثا لأن الله عز وجل يقول: ﴿**فَاقصُص القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: 176]، وقال سبحانه:﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[يوسف:111]، ففي هذه القصة أشار الله عز وجل أنَّ في كتابه علماً، له أثر خارق في العادة، يمكن لغير الأنبياء أن يؤتوه إذا كانوا من أوليائه المتقين، وأن هذا العلم مِنَّة من الله وفضل يؤتيه من يشاء من عباده. فهذا آصف بن برخيا أوتي من هذا العلم فاستخدمه في سبيل الدعوة إلى الله، بإحضار عرش بلقيس العظيم من اليمن إلى الشام، بعد أن طلب سليمان عليه السلام من الملأ أن يأتوه بعرشها، فتكفل عفريت من الجن بإحضاره في لحظات يسيرة، عبر عنها بقوله"قبل أن تقوم من مقامك"، فأرد سليمان عليه السلام عرضا أسرع من هذا، فقال آصف "أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك" فكان عرض الأنس أفضل من عرض الجن، وكان العلم بالكتاب له أثر يفوق بكثير إمكانات الجن!

فأمة محمد ﷺ أولى بالكرامات من غيرها، فرسولنا ﷺ أفضل الرسل، وأمتنا أفضل الأمم، وعباد الله الموحدون المضطهدون في دينهم في أمس الحاجة إلى ما يعينهم على نصر دينهم، وإقامة ما يحتاجونه من أمور

دنياهم، لا سيما في زمن التقنية والمراصد، كذلك في زمن التغيير والتبديل والخذلان، فنرجو من الله الكريم أن يفتح على قلوب أوليائه المتقين بعلـــم من الكتاب العظيم، ينفعهم في جهادهم المقدس، إما بتعليم اسمه الأعظـــم فيدعون الله فيستجيب لهم، أو يدلهم على مايحجبهم بـــه مـــن أبـــصار الكافرين والمنافقين، ليتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، ورفع الظلم عنهم، والرد على المعتدين، ليتمكنوا بعد ذلك من نـــشر ديـــن الله في أرجـــاء المعمورة حتى يأتي أمر الله، والله غالب على أمـــره ولكـــن المنـــافقين لا يعلمون.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" **فإن خوارق العادات إنما تكون لأمة محمد ﷺ المتبعين له باطناً وظاهراً لحجة أو حاجة، فالحجـــة لإقامة دين الله، والحاجة لما لا بد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله** ...– ثم قال رحمه الله –: وجب علينا أن ننصر الله ورسوله ﷺ ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما نقدر عليه من أرواحنـــا وجـــسومنا وأموالنا، فلنا حينئذ أن نعارض ما يظهرونه[1] من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات"[2].

(1) يقصد "البطائحية" احدى الفرق الضالة فتنت الناس ببعض الخوارق، فناظرها رحمه الله، انظر ص:(167).

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(11/459-460).

ثانيا: احتجاب النبي ﷺ بين الخصوصية والعموم:

إن المترلة الرفيعة التي حظي بها رسول الله ﷺ عند ربه، جعلت لـــه خصوصية عن سائر الخلق،" فخص عليه السلام في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض والتحريم، مزية على الأمة وهيبة لـــه ومرتبة خص َ بها، ففرضت عليه أشياء، وما فرضت على غيره، وحرمت عليه أشياء وأفعال لم تحرم عليهم، وحللت[1] له أشياء لم تحلل[2] لهـــم، منها متفق عليه ومنها مختلف فيه"[3] ولقد نبه شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى – على فرضية أن هناك من قال بخصوصية الاحتجاب بالنبي ﷺ لعدم وجود دليل على عموميتها — على أن الخطاب يكون لفظه للرسول ﷺ ومعناه عام فقال: " **الخطاب قد يكون لفظه له – أي للرسول ﷺ– ومعناه عام** كقوله:﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلنَا إِلَيكَ**﴾ [يونس: 94] ﴿**لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ [الزمر:65] ﴿**فَإِذَا فَرَغتَ فَانــصَب**﴾ [الشرح: 7] ﴿**قُل إِن ضَلَلتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفسِي**﴾[سبأ: 50] ونحو ذلك، **وذلك أن الأصل فيما خوطب به النبي ﷺ في كل ما أمر به ونهي عنه وأبيح له سار في حق أمته كمشاركة أمته له في الأحكام وغيرهـــا، حتى يقوم دليل التخصيص،** فما ثبت في حقه من الأحكام ثبت في حق الأمة إذا لم يخصص، **هذا مذهب السلف والفقهاء،** ودلائل ذلك كثيرة كقوله: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيدٌ مِنهَا وَطَرًا زَوَّجنَاكَهَا**﴾ الآية [الأحزاب: 37]، ولما أباح له الموهوبة قال: ﴿**خَالِصَةً لَكَ مِــن دُونِ المُــؤمِنِينَ**﴾ الآيـــة

(1) هكذا في الأصل ولعل الصواب وأحلت.
(2) هكذا في الأصل ولعل الصواب لم تحل.
(3) أحكام القرآن:(1561/3)، ابن العربي، دار الفكر، تحقيق علي محمد البجاوي.

[الأحزاب:50]"[1] وقال رحمه الله: "والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا؟ **فلم يقل أحد من علماء المسلمين أن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ.** والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً ونهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمترلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمترلته"[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والمقصود: أنَّ الله أخبر أن سنته لن تبدل ولن تتحول ، وسنته عادته التي يسوي فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي، وهذا يقتضي أنه سبحانه يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة؛ ولهذا قال: ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَـئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ؟**﴾ [القمر: 43] وقال: ﴿**احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ**﴾[الصافات: 22] أي أشباههم ونظراءهم، وقال: ﴿**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾ [التكوير: 7] قرن النظير بنظيره، .. وقال: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة:100].فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة،..وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَآءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا**

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(82/15).

(2) المرجع السابق:(339/13).

بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] وقال تعالى: ﴿**وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الجمعة: 3] فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد، كما ثبت في الصحاح من غير وجه أن النبي ﷺ قال: "خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[1]"[2].

نرجو الله أن يجعل غايتنا إقامة دينه في أنفسنا وفي الأرض جميعا، وأن يكرم من نصر دينه، وسعى لاعلاء كلمته، وجاهد في الله حق جهاده، بالثبات والحفظ والنصر والتأييد.

ثالثا: - احتجاب بعض السلف:

سبق أن بينت ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أن الإنس يمكن أن يختفوا عن الأنظار في بعض الأحيان[3]، وقد حدث هذا لبعض سلفنا ممن عرف بالعلم والصلاح كما ذكر ذلك بعض علماء الإسلام المعتبرين مثل ابن تيمية وابن رجب الحنبلي وابن بشكوال الأندلسي والقرطبي رحمهم الله تعالى، ذكروا كيف حفظ الله بعض أوليائه بحجبهم من أعدائهم ومنهم: -

(1) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، وجدته عند البخاري بلفظ:"خيرُ أمَّتِي قَرنِي، ثمَّ الذين يَلونَهم، ثمَّ الذين يَلونَهم" كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم:(3650). وأخرجه مسلم وأصحاب السنن وغيرهم.

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(23/13).

(3) انظر ص:(41) من هذا الكتاب.

1- احتجاب الحسن البصري عن جند الحجاج:

ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى جملة من كرامات الأولياء ثم ذكر منها ما حصل بين الحسن البصري وجند الحجاج بن يوسف الثقفي حينما جدوا في طلبه فقال: " لما هرب الحسن البصري من الحجاج، دخل إلى بيت حبيب أبي محمد ، **فقال له حبيب: يا أبا سعيد ، أليس بينك وبين ربك ماتدعواه، فيسترك من هؤلاء؟!** ادخل البيت، فدخل، ودخل الشُرط على أثره، فلم يروه، فذكر ذلك للحجاج، فقال: بل كان في البيت، إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " تغيب الحسن البصري عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه"[2]

2- احتجاب القرطبي عن الشُرَط في الأندلس:

قال أبو عبدالله القرطبي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا**﴾[الإسراء:45]...ما نصه: -

"ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا، وذلك أني هربت أمام العدو وانحزت إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاء من الأرض قاعد ليس يسترني عنهما شيء، وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن، فعبرا عليَّ ثم رجعا

(1) جامع العلوم والحكم:(474/1).
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(280/11).

من حيث جاءا، وأحدهما يقول للآخر: هذا دبيله -يعنـون شـيطانا- وأعمى الله عز وجل أبصارهم فلم يروني"[1].

3- رجال آخرون:

ذكر القرطبي في تفسيره ما حدث لرجلين من سلف هذه الأمة ممن حجبهم الله عز وجل عن أعدائهم فقال: قال كعب ﷺ: فحدثت بهن -آيات الاحتجاب الثلاث- رجلا من أهل الشام فأتى أرض الروم فأقام بها زماناً، ثم خرج هارباً فخرجوا في طلبه فقرأ بهن فصاروا يكونون معه على طريقه ولا يبصرونه[2].

(1) تفسير القرطبي:(270/10). انظر: تفسير أضواء البيان:(542/3).
(2) تفسير القرطبي:(270/10).

الفصل الرابع: طرق الاحتجاب

أولا: الاحتجاب مِنَّةً من الله:

أن زعماء قريش بعد أن اتخذوا قرارهم الجائر باغتيال النبي ﷺ ، وعلى الرغم من علم الرسول ﷺ بهذا القرار، إلا أنه راغمهم وكادهم في شركهم وكفرهم، يقول علي ﷺ : انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ:" اجلس" وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفا فترل، وجلس نبي الله ﷺ ، وقال:"اصعد على منكبي"، قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إلي أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى استمكنت منه قال لي رسول الله ﷺ:" اقذف به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق، حتى توارينا بالبيت، خشية أن يلقانا أحد من الناس"[1]. يقول صاحب السيرة النبوية في ضوء المصادر الصحيحة: "عندما كان عليٌ يعالج الصنم ليفكه كان رسول الله ﷺ يقول: ﴿**جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾[الإسراء: 81] وتمكن علي من فكه ورميه وتكسيره وانطلقا و لم يرهما أحد و لم يرفع الصنم بعد ذلك"[2].

في هذا الحديث دلالة على أن الامتناع عن كسر الأصنام في المرحلة المكية ليس على اطلاقه، بل إذا سنحت الفرصة للعصبة المؤمنة في أي

(1) تقدم تخريجه ص:(48).

(2) السيرة النبوية في ضوء المصادر الصحيحة: ص:(269-270)، د.مهدي رزق الله أحمد.

مكان وزمان، أن تراغم الكفار دون أن يكون هناك ضرر شرعي يترتب على فعلهم، فعلوا ذلك تأسياً برسول الله ﷺ.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة. قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عَنَاقٌ وكانت صديقةً له، وأنه كان وعد رجلا من أُسارى مكة يحمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظلِّ حائطٍ من حوائط مكة في ليلة مقمرةٍ، قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط فلما انتهت إلي عرفت، فقالت مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت مرحباً وأهلاً هلُمَّ فبِتْ عندنا الليلة، قلتُ: يا عناق! حرم الله الزنا. قالت: يا أهل الخيام! هذا الرجل يحمل أُسَرَاءَكُم قال: **فتبعني ثمانية وسلكتُ الخندمةَ فانتهيت إلى غارٍ أو كهفٍ فدخلت فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي وعمَّاهم الله عنِّي، قال: ثم رجعوا ورجعتُ إلى صاحبي فحملتُهُ** وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيت إلى الإذخر ففككتُ عنه أَكْبُلَهُ فجعلت أحمله ويُعْيِيني حتى قدمِت المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله! أنكح عناقاً مرتين فأمسك رسول الله ﷺ ولم يرد عليَّ شيئا حتى نزلت:﴿ **الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ** ﴾ فقال رسول الله ﷺ: "يا مرثد! ﴿**الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ**﴾ فلا تنكحها"[1].

(1) جامع الترمذي رقم:(3177)، طبعة دار السلام.

ذكر ابن جرير أهم كانوا يقولون لأبي جهل، :" هذا محمد. فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يبصره."[1]، فأنزلت ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ.وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾ [يس: 8-9] ، وقال ابن كثير:" قال عكرمة قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت الآية[2].

ثانيا: الاحتجاب بالقرآن[3]: -

يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا**﴾[الاسراء:45].

ذكر القرطبي وغيره من المفسرين قول كعب ﷺ أن النبي ﷺ كان يستتر من المشركين بثلاث آيات :-

وقول الله تعالى:﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾ [الكهف: 57] وقول الله تعالى:﴿**أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ** ﴾ [النحل: 108]، قول الله تعالى:﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً**﴾[الجاثية: 23] فكان النبي ﷺ إذا قرأهن يستتر من المشركين[4].

---

(1) تفسير ابن جرير:(98/22)، المعرفة.
(2) تفسير ابن كثير:(550/6)، طبعة الشعب، دار الثقة.
(3) انظر الصواب في آيات الاحتجاب ص: (62).
(4) انظر وقوع الاحتجاب ص (55) .

قال القرطبي رحمه الله: "ويزاد إلى هذه الآي أول سورة يس إلى قوله:﴿**فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾،فإن في السيرة في هجرة النبي ﷺ ومنام علي رضي الله عنه في فراشه، قال وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده، وأخذ الله عز وجل على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من يس:﴿**يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ** ﴾ إلى قوله تعالى:﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ** ﴾ حتى فرغ رسول الله ﷺ من هذه الآيات، ولم يبق رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب"(1).

قال السيوطي: "وأخرج بن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه قال: ائتمر ناس من قريش بالنبي ﷺ ليسطوا عليه، فجاؤوا يريدون ذلك، فجعل الله ﴿**مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا**﴾ قال: ظلمة﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّ**﴾ قال: ظلمة﴿**فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ** ﴾ قال: فلم يبصروا النبي ﷺ.

عن عكرمة قال: كان ناس من المشركين من قريش يقول بعضهم لبعض: لو قد رأيت محمدا لفعلت به كذا وكذا، فأتاهم النبي ﷺ، وهم في حلقة في المسجد، فوقف عليهم فقرأ ﴿**يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾ حتى بلغ﴿ **لاَ يُبْصِرُونَ** ﴾ ثم أخذ ترابا، فجعل يذره على رؤوسهم، فما يرفع إليه رجل طرفه، ولا يتكلم كلمة، ثم جاوز النبي ﷺ، فجعلوا ينفضون

---

(1) تفسير القرطبي:(270/10)؛ تفسيرابن كثير:(500/6)؛ تفسير البغوي: عند تفسير الآية:(28) من سورة الأنفال؛ قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء في بيان معجزاته وآياته: رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسلا؛ البداية والنهاية:(174/2)؛ فتح الباري:(631/7). قال د. أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة:(483/1)، اسناده صحيح إلى محمد بن كعب القرظي لكنه مرسل.

التراب عن رؤوسهم ولحاهم، والله ما سمعنا، والله ما أبــصرنا، والله مـــا عقلنا". [1]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " وأمر النبي ﷺ عليــا أن يبيــت في مضجعه تلك الليلة-ليلة الهجرة-، واجتمع أولئك النفــر مــن قــريش يتطلعون من صبر الباب يرصدونه، ويريدون بياته، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله ﷺ عليهم فأخذ حفنة من البطحاء، فجعــل يذره على رؤوسهم، وهم لا يرونه وهو يتلو:﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْــدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾ [يس: 9]، ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلا، وجاء رجل، ورأى القوم ببابه، فقال: ما تنظرون؟ قالوا محمدا، قال خبتم وخسرتم، قد والله مرَ بكم وذر رؤوسكم التراب، قالوا والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فلما أصبحوا، قام علي عن الفراش، فسألوه عن رسول الله ﷺ وسلم فقال: لا علم لي به"[2].

سبق أن ذكرت أن تخصيص الآيات الثلاث للاحتجاب من أعــين الأعداء، ونسبة فعل النبي ﷺ لذلك لم تصح، فليس شرطا الاقتصار على هذه الآيات الثلاث، بل يجوز بغيرها من آيات القران الكريم، كما قــال صديق حسن القنوجي رحمه الله عند تفسيره آية الاحتجاب "المراد بما في الآية **مطلق القرآن** أو ثلاث آيات مشهورات.. "[3].

(1) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر، كذا في الدر المنثور:(487/5).

(2) أخرجه ابن سعد:(227/1-228)؛ ابن هشام في الــسيرة:(483/1)؛ عبــد الــرزاق في المــصنف:(389/5)؛ أحمــد في المسند:(348/1)، كذا في زاد المعاد في هدي خير العباد:(52/3-53)، مؤسسة الرسالة، تحقيــق شــعيب وعبــد القــادر الأرنؤوط.

(3) تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن:(400/7)، المكتبة العصرية.

ولنا ظاهر قول الله تعالى:﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا**﴾ فالبحث والاجتهاد والنظر بشكل فردي في مثل هذه المسألة سائغ، يقول الحافظ ابن حجر:"جواز البحث في العلم حتى يظهر المعنى، وأن الكلام يحمل على عمومه وإطلاقه حتى تظهر إرادة التخصيص والتقييد"[1]

طريقة قراءة الآيات:

لم ترد طريقة قراءة الآيات في الأحاديث النبوية ولا من فعل السلف، ولكن يترك الأمر حسب التقدير الشخصي للموقف فمن رأى من المناسب له الإسرار فليفعل ولا بد من تحريك الشفتين ومن أراد أن يسمع نفسه أو يجهر فله ذلك وإليك الفرق بين الجهر والمناجاة والإخفاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال الله تعالى ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾[الأعراف:205] فأمر بذكر الله في نفسه، فقد يقال هو ذكره في قلبه بلا لسان لقوله بعد ذلك ﴿**وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**﴾ وقد يقال وهو أصح: بل ذكر الله في نفسه باللسان مع القلب وقوله ﴿**وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**﴾ كقوله ﴿**وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء:110] وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت في الدعاء[2]. وفي الصحيح عن ابن عباس ﷺ قال كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله،

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري:(675/5)، ذكره في معرض سرده لفوائد مصالحة أهل الحرب.

(2) صحيح مسلم رقم:(1002)، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية...

ومن أنزل عليه فقال الله لا تجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت به عن أصحابك فلا يسمعوه فنهاه عن الجهر والمخافتة[1].

فالمخافتة هي ذكره في نفسه والجهر المنهي عنه هو الجهر المذكور في قوله ﴿ **وَدُونَ الْجَهْرِ** ﴾ فإن الجهر هو الإظهار الشديد يقال: رجل جهوري الصوت ورجل جهير. وكذلك قول عائشة في الدعاء، فإن الدعاء كما قال تعالى: ﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ وقال ﴿ **إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا**﴾ فالإخفاء قد يكون بصوت يسمعه القريب وهو المناجاة والجهر مثل المناداة المطلقة"[2].

استصحاب نية الاحتجاب عند القراءة:

يستحسن عند قراءة الآيات استحضار نية الاحتجاب عن العدو لقول النبي ﷺ في الصحيح "إنما الأعمال بالنيات"[3].

قال البيضاوي: النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا والشرع خصصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضا الله وامتثال حكمه.[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وإن لم يقع الفعل وإن تباعدت الديار"[5]

(1) المرجع السابق رقم:(1001).

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(33/15).

(3) أخرجه البخاري رقم:(1،54، 2392). ومسلم رقم:(4927) بلفظ:" إنما الأعمال بالنية.."

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري:(13/1).

(5) مجموع فتاوى ابن تيمية:(463/28).

يدل على هذا المعنى حديث أنس ﷺ قال: إن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: "كيف تجدك؟ " قال: أرجو رحمة الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي، فقال النبي ﷺ: " لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف "[1]، ويشير إلى ذلك أيضا قول النبي ﷺ لطلحة بن عبيد الله ﷺ يوم أحد حينما قاتل قتالاً شديداً عن النبي ﷺ حتى ضربت يده وقطعت أصابعه فقال: حس – من شدة الألم – فقال له الرسول ﷺ " لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون"[2]

ففي هذين الحديثين إشارة إلى أن العبد الصالح إذا مرَّ بموقفٍ عصيب يتعلق في مثله أكثر الناس بالأسباب المادية وتعلق هو بربه من أول وهلة فإن الله سيكون عند حسن ظنه به، ويفرج همه.

ثالثا: الاحتجاب بواسطة الدعاء: –

دعاء النبي ﷺ الله أن يعمي أمره عن من أراد قتله: –

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسيره لقول الله تعالى **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** [الأنفال: 30]، قال: "هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة، فاجتمع الرأي

(1) أخرجه الترمذي رقم:(983)، كتاب الجنائز، باب الرجاء بالله والخوف بالذنب عند الموت، انظر فتح الباري رقم:(6103).

(2) أخرجه النسائي رقم:(3151)، كتاب الجهاد، باب ما يقوله من يطعنه العدو. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم:(2796).

على قتله فبيتوه، ورصدوه على باب منزله طوال ليلتهم ليقتلوه إذا خرج، فأمر النبي ﷺ علي ابن أبي طالب أن ينام على فراشه، **ودعا الله أن يعمي عليهم أمره** ، فطمس الله على أبصارهم فخرج وقد غشيهم النوم فوضع على رؤوسهم ترابا ونهض. فلما أصبحوا خرج عليهم علي رضي الله عنه فأخبرهم أن ليس في الدار أحد، فعلموا أن رسول الله ﷺ قد فات ونجا"[1].

دعاء الحسن البصري حين طلبه الحجاج: -

كان من دعاء الحسن البصري رحمه الله حين طلبه جند الحجاج: "يا صاحبي عند كل شدة، ويا نجِيي عند كُلِّ كربة، ويا وليي عند كُلِّ نعمة، ويا حاضري عند كُلِّ غربة، ويا مؤْنسي عند كُلِّ وحشة، ويا رازقي عند كُلِّ حاجة، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلى اللـــهم عليهم وعلى محمد وسلم تسليما، واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا يـــا أرحم الراحمين" فستره اللهُ تعالى من الحجاج ونجاه منه[2].

رابعاً: الاحتجاب بواسطة أحد الملائكة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت:﴿**تَبَّت يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾ وجاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذيك بشيء. فقال رسول الله ﷺ: "إنه سيحال بيني وبينها، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، فقالت: يا أبابكر هجانـــا صاحبك. فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما نطق بالشعر ولا يتفـــوه

---

(1) تفسير القرطبي:(397/7).

(2) كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات، ابن بشكوال، ص:(45)، ضبط وتعليق: غنيم عبـــاس غنـــيم، نـــشر دار المشكاة للبحث والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى،1414هـــ.

به. فقالت إنك لمصدق. فلما ولت قال أبو بكر ﷺ: ما رأتك؟ قال: **لا! مازال ملك يسترني حتى ولت**"[1].

عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: " كنت جالساً عند المقام ورسول الله ﷺ في ظل الكعبة بين يدي إذ جاءت أم جميل بنت حرب بن أمية زوجة أبي لهب ومعها فهران فقالت: أين الذي هجاني وهجا زوجي؟ والله لئن رأيته لأرضن أنثييه بهذين الفهرين، وذلك عند نزول﴿**تَبَّت يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ قال أبو بكر الصديق ﷺ: فقلت لها يا أم جميل ما هجاك ولا هجا زوجك. قالت: والله ما أنت بكذاب وإن الناس ليقولون ذلك، ثم ولت ذاهبة. فقلت: يا رسول الله إنها لم تَرَك، فقال النبي ﷺ: "**حال بيني وبينها جبريل**"[2]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " لما نزلت﴿**تَبَّت يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾ جاءت امرأة أبي لهب فقال أبوبكر ﷺ: يا رسول الله لو تنحيت عنها فإنها امرأة بذيئة، فقال: "إنه سيحال بيني وبينها فلا تراني" فقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك! قال: والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله. فقالت: إنك لمصدَق فاندفعت راجعة. فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله: ما رأتك؟ قال: " **كان بيني وبينها ملك يسترني بجناحه حتى ذهبت**"[3].

(1) مصنف ابن أبي شيبة:(323/6)، باب ما أعطى الله تعالى محمدا ﷺ، رقم:(31768)؛ تفسير ابن كثير:(537/8)؛ أخرجه الحميدي وأبو يعلى وابن أبي حاتم من حديث أسماء بنت أبي بكر، كذا في فتح الباري:(738/8)؛ أضواء البيان للشنقيطي:(541/3)؛ تفسير القرطبي:(269/10).

(2) أخرجه بن مردويه كذا في الدر المنثور:(336/4)؛ كتر العمال، المتقي الهندي:(357/1)، رقم:(4732)؛ جامع المسانيد والمراسيل، الجلال السيوطي:(162/13)، فضائل الصحابة وأقوالهم، دار الفكر.

(3) أخرجه ابن أبي شيبة، والدار قطني في الافراد، وأبو نعيم في الدلائل، كذا في الدر المنثور:(337/4)؛ تفسير الآلوسي، الآية:(46) من سورة الاسراء؛ دار احياء التراث العربي.

الباب الثاني

الفصل الأول : من حكم الاحتجاب.

الفصل الثاني : علاقة الاحتجاب بالولاية.

الفصل الأول

من حِكَم الاحتجاب

إن لله سنة لا تتغير ولا تتبدل، ومنها سنة التسوية بين الشيء ونظيره و الحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة، كما قال الله: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ**﴾ [التوبة: 100]، فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة، وقال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُم فَأُولَئِكَ مِنكُم**﴾ [الأنفال: 75]، وقال: ﴿**وَآخَرِينَ مِنهُم لَمَّا يَلحَقُوا بِهِم وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ [الجمعة:3][1]. فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم.

والاحتجاب وإن كان من خوارق العادات إلا أنه وقع كما سبق ذكره من بعض الأولين ولأسباب ودواع معينة، ولا مانع من إمكانية وقوعه من الآخرين لوجود أسباب مماثلة وذلك لأن في وقوعه حكماً، وهذه الحكم ترد عند وقوعه في هذا الزمان كما وقعت في تلك الأزمان، ومن الحكم التي يمكن أن يقع الاحتجاب بسببها مايلي:-

1- حفظ عباده الموحدين:

من سنة الله تعالى أن جعل لكل نبي عدواً من المجرمين، يعاند ويكابر ويجحد ويعادي ابتلاء، وكل من سار على نهج الأنبياء ناله ما نالهم من الأذى، وقد قصَّ الله لنا أمثلة على محاولات الاعتداء على دعاة التوحيد

(1) لشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس حول هذا الموضوع في مجموع الفتاوى:(23/13).

في الأزمان الغابرة. ثم بين لنا الله كيف حفظهم من أعدائهم وأكــرمهم بخوارق على الرغم من كون بعضهم من عامة البشر وليسوا أنبياء كقصة أصحاب الكهف وقصة الغلام وغيرهم. وقد صح عن النبي ﷺ أن العبد الصالح إذا كان في حاجة، أعانته الملائكة في قضاء حاجته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: "إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا، الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ، **وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ**"[1]. وفي رواية عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه :" إن للمساجد أوتاداً هم عُمَّارها، وإن لهم جُلساء من الملائكة تفتقدهم..."

2- رعاية أوليائه المبلغين:

حثَّ الله عباده على نصرة دينه، ووعد بنصر من ينصر دينه، ســواء كان فردا أو جماعة، فمن الأفراد رسول الله ﷺ، فقد دعا إلى الله وحيدا فريدا في بادئ الأمر فأوذي أشد الإيذاء، ثم أمره الله بالهجرة ليتمكن من تبليغ رسالة ربه، فلم يسلم من تربص كفار قريش به ليقتلوه، فنصره الله عليهم وأعمى أبصارهم عنه، فخرج من بين أيديهم سالما، فلمــا أفــاقوا وعلموا أنه قد خرج، جدُّوا في طلبه وحفَّزوا جهلة القوم بالجوائز الثمينة لمن يدل عليه أو يقتله، فنصره الله عليهم فصرف عنه أبصارهم على الرغم من وقوفهم على باب الغار الذي كان مختبئاً فيه، حتى يقول له صاحبه يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موطن قدمه لرآنا فقال عليه الســلام:"يــا أبابكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما" فأنزل الله قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ**

---

(1) مسند الإمام احمد:(552/2)، رقم:(9432)، دار الكتب العلمية. المستدرك على الصحيحين:(433/2)، دار الكتب العلمية، رقم:(3554). صححه الالباني في السلسلة الصحيحة:(1189/7)، رقم:(3401)

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 41] [1]، وقد نصر الله الحسن البصري فأعمى أبصار جند الحجاج عنه فلم يروه[2] في ستة محاولات للقبض عليه فنجَّاه الله منهم[3].

وعلى مستوى الجماعات، فإن الله عز وجل نصر المسلمين الأوائل رغم ضعفهم وقلة عددهم وعدتهم عندما حققوا شروط النصر، فكل من جاهد في سبيل الله وحقق شروط النصر فلا بد أن ينتصر كما انتصر الأوائل، ولكن لا يتم النصر والتمكين حتى تمضي عليهم سنة الله التي خلت في أسلافهم ومنها الإبتلاء الشديد والتمحيص المزلزل للإيمان، بعد ذلك تخرق لهم العادة إن شاء الله لهم ذلك، كما خرقت للأوائل، ويحصل لهم التمكين كما حصل لإسلافهم، ومن شك في ذلك فعليه أن يراجع إيمانه وعقيدته في الله، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "أن الله خلق كل شيء وهو على كل شيء قدير، ومن جعل شيئا من الأعمال خارجا عن قدرته ومشيئته فقد ألحد في أسمائه وآياته"[4].

قال سيد قطب رحمه الله: "إن وعد[5] الله بهزيمة الذين يكفرون ويكذبون وينحرفون عن منهج الله قائم في كل لحظة، ووعد الله بنصر

---

(1) انظر صحيح البخاري: رقم:(4663)، كتاب التفسير، باب قوله:﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار..﴾، صحيح مسلم:رقم:(6169)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ .

(2) انظر احتجاب الحسن ص:(73).

(3) سبب طلبهم له هو خروجه مع جماعة من القراء في محاولة فاشلة لقلب نظام الحكم الأموي آنذاك وكان الحجاج أمير المنطقة التي فيها الحسن، انظر سير أعلام النبلاء:(583/4)؛ وكتاب المتوارين الذين اختفوا خوفا من الحجاج بن يوسف، للحافظ عبدالغني الأزدي، ص:(44)، تحقيق مشهور حسن سلمان، دار القلم، دمشق؛. تاريخ الطبري:(334/6)؛ البداية والنهاية:(305/12).

(4) مجموع فتاوى ابن تيمية:(311/11).

(5) هكذا في الأصل ولعل الصواب "وعيد" .

الفئة المؤمنة ولو قل عددها قائم كذلك في كل لحظة. وتوقف النصر على تأييد الله الذي يعطيه من يشاء حقيقة قائمة لم تنسخ وسنة ماضية لم تتوقف.

وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن إلى هذه الحقيقة، وتثق في ذلك الوعد، وتأخذ للأمر عدته التي في طوقها كاملة وتصبر حتى يأذن الله، ولا تستعجل ولا تقنط إذا طال عليها الأمد المغيب في علم الله ، المدبر بحكمته، المؤجل لموعده الذي يحقق هذه الحكمة.﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾ [آل عمران: 13] ، ولا بد من بصر ينظر وبصيرة تتدبر لتبرز العبرة وتعيها القلوب وإلا فالعبرة تمر في كل لحظة في الليل والنهار"[1].

3- تثبيت المؤمنين الصادقين:

في آخر الزمان يندرس الحق وينتشر الباطل وتتغير الحقائق فيصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا والجهاد في سبيل الله تدميرا وإرهابا، يُصَدِّق هذا قول النبي ﷺ:" لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الأَعَاجِمِ، حُبُّ الدُّنْيَا، سُنَّتُهُمْ سُنَّةُ الأَعْرَابِ، مَا أَتَاهُمُ مِنْ رِزْقٍ جَعَلُوهُ فِي الْحَيَوَانِ، **يَرَوْنَ الْجِهَادَ ضرَراً**، والزكاة مَغْرَماً"[2]. بل يقول النَّوَّاسِ بن سَمْعان ﷺ : فُتِحَ على رسولِ اللَّهِ فَتْحٌ، فأتيتُهُ، فقُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، سُيِّبَتِ الخَيْلُ ووضَعُوا السلاحَ، فقدْ وضَعَتِ الحربُ أوزارَها، وقالوا: لا قِتَالَ، فقالَ رسولُ اللَّهِ: "كَذَبوا ، الآنَ جاءَ القتالُ، الآنَ جاءَ القتالُ، إنَّ

---

(1) في ظلال القرآن:(372/13).

(2) أخرجه الطبراني:(82/36/13). كنز العمال:(6322). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة:(1075/7) رقم:(3357).

الله جلَّ وعلا يُزِيغُ قلوبَ أقوامٍ يُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمُ اللَّهُ منهمْ حتَّى يأتِيَ أمرُ اللَّهِ على ذلكَ، وعُقْرُ دارِ المؤمنينَ الشَّامُ"[1]. إذا قيل إن الحرب انتــهت ووضعت أوزارها في زمن النبي ﷺ ، فماذا يقال في زماننا هــذا؟! وإن كذَّبهم النبي ﷺ وأزال شبهتهم وبين لنا أن القتال ماضٍ إلى أن يأتي أمــر الله، فماذا سيقال لمن ينادي بالجهاد في سبيل الله مــن بعــده؟! ومــن سيُكَذِّب المفتونين الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، هــذه والله ثالثــة الأثافي ومصيبة المصائب، فمن يُبين الحق للناس إذا تخلى العلماء عن ذلك، وهم الأُمناء والوكلاء على دين الله ووحيه، ارتضاهم الله لحفظه والقيــام به والذبِّ عنه، فكيف يسكتون عن التبيين – إلا من رحم ربي –، هــذا لعمر الله من ضعف الايمان واليقين، لأن من اطمأن قلبه بأنَّ اللّه تعالى هو النافع الضار، وليس لأحد غيره من الأمر شيء، فلا يهــاب أحــداً ولا يخشاه حتى يرضيه لخوف لحوق ضرر منه إليه، وفي الحــديث: "إن مــن ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله أو تذمهم على مــا لم يؤتــك الله"[2] قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"فإن اليقين يتضمن اليقين في القيــام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن الــيقين بقــدر الله وخلقــه وتدبيره، **فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقــه، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك، إما ميل إلى ما في أيديهم من الــدنيا فيترك القيام فيهم بأمر الله؛ لما يرجوه منهم. وإما ضعف تــصديق بمــا وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخــرة،** فإنك إذا أرضيت الله نصرك، ورزقك وكفــاك مؤنتــهم، فإرضــاؤهم

(1) صحيح ابن حبان:(398/6) رقم:(7193)، السلسلة الصحيحة: الالباني:(1099/7).
(2) كنز العمال، للمتقي الهندي:(518/1)، رقم:(7333).

بسخطه إنما يكون خوفاً منهم ورجاء لهم؛ وذلك من ضعف اليقين"[1].
ولكن هناك فئة أخرى رسَّخ الله إيمانها وقوَّى يقينها، فصدَّقت بما أنزل على رسولها ﷺ وخضعت وانقادت لأمر ربها، فأبت أن ترضى بغير ما يرضي الله عز وجل، فسعت جاهدة لإصلاح ما أفسده المفسدون، وتبيِّن الحق الذي لبَّسه الملبِّسون، ومقارعة الكافرين المعتدين، ولسان حالهم يقول:

أمـــا لله والإسلام حقٌ   يدافعُ عنه شبانٌ وشيب

قال رسول الله ﷺ : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" وفي رواية:"لا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة" وفي رواية:"يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم"[2] وهذا ما يميز الطائفة المنصورة عن الفرقة الناجية، إذ الفرقة الناجية تشمل عموم أهل السنة الحاملين لأصوله، أما الطائفة المنصورة فهم خلاصة الفرقة الناجية وخواص أهل السنة والجماعة، لأنهم لا يكتفون بإقامة أصول القرآن والسنة ويدعون إليهافقط، بل يقاتلون عليها ويجاهدون في سبيل إقامتها .

قال ابن حجر:" قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد، ولا يلزم أن

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(51/1).
(2) صحيح مسلم، رقم:(4957،4956)، كتاب الامارة، باب قوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم". إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض:(348/6).

يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولا فأولا إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله، انتهى"[1].

فهذه الفئة المحاربة من أعدائها المناوئين لها ولدينها في حاجة إلى ما يطمئنها على صحة ما هي عليه في الواقع العملي للنصوص الشرعية، كما أنها في حاجة إلى ما تستعين به على تحقيق أهدافها من أمور الدين والدنيا، ومن ذلك حفظ الله لها أو لبعضها عند الحاجة لذلك.

(1) فتح الباري، كتاب الاعتصام:(227/15)، دار الفكر.

الفصل الثاني
علاقة الاحتجاب بالولاية

تعريف الولي:

لقد تكفل الله عز وجل بتعريف الولي فقال سبحانه: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ.الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس:62-63].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله"[1]. وقال رحمه الله في وصف أولياء الله أنهم:"هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: " أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله"[2]، وفي حديث آخر رواه أبو داود قال: "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان"[3]،

والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب"[4]. وقيل:"الولي هو من والى الله بطاعته ووالاه الله بمعونته فلازم التقوى واتبع السنة

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(417/3).

(2) لم أجده في الترمذي والحديث أخرجه ابن أبي شيبة:(130/8)، والهيثمي في مجمع الزوائد:(267/1)، وقال: رواه أحمد وفيه ليث بن أبي سليم وضعفه الأكثر.

(3) أخرجه أبو داود رقم:(4681)، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه؛ مصنف ابن أبي شيبه:(191/8)؛ مجمع الزوائد:(268/1) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صدقة بن عبدالله السمين، ضعفه البخاري وأحمد وغيرهما وقال أبو حاتم محله الصدق.

(4) مجموع فتاوى ابن تيمية:(160/11).

وخالف أهل البدع والأهواء كالرفض والاعتزال والإرجاء ولم يتخلل طاعته عصيان إلا إذا غلبه القدر فيوفق للتوبة حالا"[1].

شروط الولي:

ذكر السفاريني عن بعض المحققين أن للولي أربعة شروط ملخصها مايلي:

الأول: أن يكون عارفاً بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي والمتنبيء.

الثاني: أن يكون عالماً بأحكام الشريعة نقلاً وفهماً.

الثالث: أن يتخلق بالأخلاق المحمودة التي دل عليها الشرع والعقل من الورع عن المحرمات بل والمكروهات وامتثال المأمورات وإخلاص العمل وحسن المتابعة والاقتداء.

الرابع: أن يلازمه الخوف أبداً واحتقار النفس سرمداً وأن ينظر إلى الخلق بعين الرحمة والنصيحة وأن يبذل جهده في مراقبة محاسن الشريعة ومطالعة عيوب النفس وآفاتها والخوف بملاحظة السابقة والخاتمة[2].

صفات الأولياء: -

أولياء الرحمن هم عباده الممتثلون لأمره وأمر رسوله ﷺ في السراء والضراء، الثابتون على مرضاته في زمان الفتن وعند غلبات الهوى، أولئك الكرام لهم صفات كثيرة من أهمها:

---

(1) أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب،لمحمد بن ادريس الحوت.

(2) لوامع الأنوار البهية: (397/2) كذا في مقدمة محقق كتاب كرامات أولياء الله المتقين للالكائي د.أحمد سعد حمدان ص:35.

1- الإيمان بالله:

هو الإيمان بالله وبكل ما جاء عن الله ورسوله ﷺ ، والعمل به، والدعوة إليه، وقد وردت عدة آيات في وصف المؤمنين الصادقين منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ**﴾ [الحجرات: 15] ومنها قوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ [الأنفال: 74]

2- تقوى الله:

قال الله تعالى:﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ**﴾ [النساء:131]، التقوى:"هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه"(1).

3- التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وقد أخبر النبي ﷺ عن حال أولياء الله وما صاروا به أولياء ففي صحيح البخاري(2) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "يقول الله تبارك وتعالى: "من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(416/3).

(2) لم أجد هذا اللفظ عند البخاري، ولفظ البخاري عن أبي هريرة"من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب.." كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم:(6502)، طبعة دار السلام. وكذا في السلسلة الصحيحة رقم:(1640).

وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بهـــا، فـــبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه"[1].

4- الحب في الله والبغض في الله:

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيمـــان الحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضُ فِي اللَّه"[2]. وقال عليه الصلاة والـــسلام:"أوثـــق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحبُّ في الله، والـــبغض في الله"[3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من أحبَّ في الله وأبغـــض في الله وعادى في الله ووالى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك"[4].

وعن مجاهد عن ابن عمر ﷺ قال: " قال رسول الله ﷺ: "أحب في الله وأبغض في الله وعاد في الله **فإنك لن تنال ولاية الله إلا بذلك** ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حـــتى يكـــون كـــذلك، وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا وإن ذلك لا يجزى عند الله شيئا"[5].

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(416/3).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة:(229/7)، رقم:(26179)، طبعة دار الفكر.

(3) أخرجه الجلال الكبير في الفتح الكبير:(462/1) رقم:(4615) دار الفكر. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الـــصحيحة رقم:(1728).

(4) أخرجه ابن أبي شيبة:(196/8)، رقم:(30558)، طبعة دار الفكر.

(5) مجمع الزوائد للهيثمي:(268/1)، رقم:(312)، باب من الإيمان الحب في الله والبغض في الله، دار الفكـــر؛ معجـــم الطـــبراني الكبير:(417/12)، رقم:(13537).

يقول سيد قطب رحمه الله:" **إن هذه العقيدة عجيبة فعلا. إنها حين تخالط القلوب، تستحيل إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب، التي تلين جاسيها[1]، وترقق حواشيها، وتندي جفافها، وتربط بينها برباط وثيق عميق رفيق. فإذا نظرة العين، ولمسة اليد، ونطق الجارحة، وخفقة القلب، ترانيم من التعارف والتعاطف، والولاء والتناصر، والسماحة والهوادة، لا يعرف سرها إلا من ألَّف بين هذه القلوب؛ ولا تعرف مذاقها إلا هذه القلوب!**

وهذه العقيدة تهتف للبشرية بنداء الحبِّ في الله؛ وتوقع على أوتارها ألحان الخلوص له والالتقاء عليه، فإذا استجابت وقعت تلك المعجزة التي لا يدري سرَّها إلا الله، ولا يقدر عليها إلا الله"[2].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: " قال رسول الله ﷺ: " أوحى الله إلى نبيٍ من الأنبياء أن قل لفلان العابد، أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك، وأما انقطاعك إليَ فتعززت به، فما عملت فيما لي عليك، قال يارب: ومالك عليَ؟ قال: هل واليت لي وليا أو عاديت لي عدوا""[3].

5- آثار الطاعة على أولياء الرحمن :

إن أولياء الله المتقين لهم هيئة مختلفة عن هيئات الناس، هذه الهيئة هي ثمرة من ثمرات صدق العبودية لله، وطاعته في السر والعلن، يقول النبي ﷺ

---

(1) قاسيها.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب:(1548/10) دار الشروق.

(3) التمهيد، ابن عبدالبر:(428/17). الدرر السنية في الفتاوى النجدية:(148/8).

:" أولياءُ الله هم الذين يُذكر الله لرؤيتهم"[1]. ويقول عليه الصلاة والسلام:" أولياءُ الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله"[2].

أقسام الأولياء:

ينقسم أولياء الله إلى قسمين، مقربون وأصحاب يمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أولياء الله على قسمين مقربون وأصحاب يمين وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء فقال: "يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه." [3]

القسم الأول:

" الأبرار أصحاب اليمين: هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات"[4].

القسم الثاني:

" السابقون المقربون: فتقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما كما قال تعالى في الحديث: "ولا يزال

---

(1) رواه ابن المبارك في أخبار أصبهان:(231/1) والواحدي:(1/58) والديلمي:(341/2/1) ورواه ابن المبارك في الزهد رقم:(217) وروه ابن صاعد في زوائد الزهد:(218)، كذا في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني:(201/4) رقم:(1646).

(2) كتر العمال للمتقي الهندي:(131/1) رقم:(1783). وأخرجه المروزي في زوائد الزهد:(218) والطبراني في المعجم الكبير(12325) وأبو نعيم في أخبار أصبهان:(231/1) والضياء في المختارة:(2/212) وابن المبارك في الزهد:(217) والدولابي في الكنى:(106/1) كذا في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني:(311/4) رقم:(1733)، صحيح الجامع رقم: (2557)و(2587).

(3) تقدم تخريجه ص:(95).

(4) مجموع فتاوى ابن تيمية:(156/11).

عبدي يتقرب إليَ بالنوافل حتى أحبه" يعني الحب المطلق، فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات، يتقربون بها إلى الله عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفاً كما عملوا له صرفا، **والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم**، فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه فلم يشربوا صرفا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا"[(1)].

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

إن خوارق العادات يمكن أن تقع لأولياء الله المتقين ولغيرهم من الكافرين والمنافقين كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند قوله: " فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين، **فلا يجوز أن يظن ظان أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاقم وأفعالهم وأعمالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة**"[(2)].

وقال أيضا في معرض رده على بعض المبتدعة: "فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة ولو طرتم في الهواء ومشيتم على الماء ولو فعلتم ما فعلتم لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدَعونه من مخالفة الشرع ولا على إبطال الشرع، فإن الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري

(1) المرجع السابق:(156/11).
(2) المرجع السابق:(311/11).

فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت[1]، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه، ويقتل رجلا ثم يمشي بين شقيه ثم يقول له قم فيقوم، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون، لعنه الله ورفعت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب. وذكرت قول أبي يزيد البسطامي: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي".[2]

الفرق بين كرامة الولي وما يشبهها من الأحوال الشيطانية:

إن الفرق بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية يكون واضحا وجليا لكل من اتقى الله وكان متمسكا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، قال الله تعالى: ﴿**إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجعَل لَكُم فُرقَانًا**﴾ [الأنفال:29].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة، منها أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية سببها ما نهى الله عنه ورسوله. والله عز وجل يقول:﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[الأعراف:33].

فالقول على الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله فلا تكون سببا لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها، فإذا

(1) يشير رحمه الله لحديث أبي أمامة الباهلي عند ابن ماجه:رقم:(4077).

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(466/11).

كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن بل تحصل بما يحبه الشيطان وبالأمور التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات أو كانت مما يستعان به على ظلم الخلق وفعل الفواحش فهي من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية" [(1)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله لئلا يكون نبيا، بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه إلا أن يكون موافقا للشرع، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاما ومحادثة وخطابا من الحق، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه"[(2)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "**فمن كان أعظم اتباعا لكتابه الذي أنزله، ونبيه الذي أرسله كان أعظم فرقانا**، ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان، **واشتبه عليه الحق والباطل**، كالذي اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان والنبي الصادق بالمتنبيء الكاذب وآيات النبيين بشبهات الكذابين: حتى اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق"[(3)].

(1) المرجع السابق:(287/11).
(2) المرجع السابق:(203/11).
(3) المرجع السابق:(6/13).

تنبيـــــــه:

ليس من شروط الولاية عدم الوقوع في الخطأ، قال شيخ الإســـلام ابن تيمية:" وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ بل يجوز أن يخفي عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعــض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهـــى الله عنـــه، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لَبَسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى، فإن الله تعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[1]. ثم قال رحمه الله:"والناس في هذا الباب – ثلاثة أصناف – طرفان ووسط؛ فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنـــه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حدث به قلبه عن ربه، وسلم إليه جميـــع ما يفعله، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً، وخيار الأمور أوساطها وهو أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً، فلا يتبع في كل ما يقوله، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده.

والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله، وأما إذا خـــالف قول بعض الفقهاء، ووافق قول آخرين لم يكن لأحد أن يلزمـــه بقـــول المخالف ويقول هذا خالف الشرع" [2].

(1) المرجع السابق:(201/11).
(2) المرجع السابق:(201/11).

شبهة والرد عليها:

يقول الدكتور عمر بن سليمان الأشقر: "وقد أنكر طوائف من المسلمين كرامات الأولياء ومن هؤلاء المعتزلة وحجتهم في دعواهم أن خرق العادة لو صح من غير الأنبياء لالتبس النبي بالولي، ولم تكن المعجزة دليلا على صدق الأنبياء.

وقولهم هذا مردود لأن من كرامات الأولياء ما حدَث به القرآن وصح ذكره في الأحاديث الصحيحة وتواتر النقل والناس يشاهدون شيئا منه في كل عصر ومصر، والشبهة التي جاؤوا بها إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة وهذا لا يقع ولو ادعى النبوة لم يكن ولياً بل كان متنبئاً كاذباً، وقد أنكر الإمام أحمد على الذين نفوا كرامات الأولياء ولم يصدقوا بها وضللهم"[1].

(1) الرسل والرسالات د.عمر الأشقر:(154/4).

مجالات الولاية:

" من أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات،كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة."[1]

قال الشاطبي رحمه الله تعالى:" إنه لما ثبت أن النبي ﷺ حذّر وبشّر وأنذر، وندب وتصرف بمقتضى الخوارق من الفراسة الصادقة، والإلهام الصحيح، والكشف الواضح، والرؤيا الصالحة، **كان من فعل مثل ذلك ممن اختص بشيء من هذه الأمور على طريق من الصواب، وعاملاً بما ليس بخارج عن المشروع**، مع مراعاة شرط ذلك، ومن الدليل على صحته..أمران:-

أحدهما: أن النبي ﷺ قد عمل بمقتضى ذلك، أمراً ونهياً وتحذيراً وتبشيراً وإرشاداً، **مع أنه لم يذكر أن ذلك خاص به دون أمته. فدل على أن الأمة حكمهم في ذلك حكمه، شأن كل عمل صدر منه ولم يثبت دليل على الاختصاص به دون غيره.** ويكفي من ذلك ما ترك بعده في أمته من المبشرات. وإنما فائدتها البشارة والنذارة التي يترتب عليها الإقدام والإحجام..

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(156/3).

والثاني: عمل الصحابة رضي الله عنهم بمثل ذلك من الفراسة والكشف والإلهام والوحي النومي، كقول أبي بكر ﷺ :إنما هما أخواك وأختاك. وقول عمر: ياسارية الجبل. فأعمل النصيحة التي أنبأ عنها الكشف، ونهيه لمن أراد أن يقص على الناس وقال: أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا. وقوله لمن قص عليه رؤياه أن الشمس والقمر يقتتلان فقال: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر. قال: كنت مع الآية الممحوة، لا تلي عملا أبدا.ويكثر نقل مثل هذا عن السلف الصالح ومن بعدهم من العلماء والأولياء نفع الله بهم." [1]

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ :"اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة"[2] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وهذه الأمور التي أخبر بها عمر بن الخطاب ﷺ أنها تتجلى للمطيعين هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات، فأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقد ثبت في الصحيح تعيين عمر بأنه محدث في هذه الأمة، فأي محدث ومخاطب فرض في أمة محمد ﷺ فعمر أفضل منه، ومع هذا فكان عمر ﷺ يفعل ما هو الواجب عليه فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن بموافقته غير مرة، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين، والحديث معروف في البخاري وغيره... ولما مات النبي ﷺ أنكر عمر

---

(1) الموافقات للشاطبي:(263/2-266).

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(205/11).

موته أولا فلما قال أبو بكر إنه مات رجع عمر عن ذلك، وكـــذلك في قتال مانعي الزكاة قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق فكان أبوبكر ﷺ أكمل موافقة لله وللنبيّ ﷺ من عمر، وعمر ﷺ رجع عن ذلك"[1] ، "فليس كل عمـــل أورث كشوفاً أو تصرفاً في الكون يكون أفضل من العمل الذي لا يورث كشفاً وتصرفاً؛ فإن الكشف والتصرف إن لم يكن مما يستعان به على ديـــن الله وإلا كان من متاع الحياة الدنيا"[2].

المجـــــالات:

1- مجال الكشف:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فمن يؤتى مـــن الكـــشف والتأثير الكوني ما يؤيد به الكشف والتأثير الشرعي. وهو علـــم الـــدين والعمل به، والأمر به، ويؤتى من علم الدين والعمل به، ما يستعمل بـــه الكشف والتأثير الكوني؛ بحيث تقع الخوارق الكونية تابعة للأوامر الدينية، أو أن تخرق له العادة في الأمور الدينية؛ بحيث ينال من العلوم الدينية، ومن العمل بها، ومن الأمر بها، ومن طاعه الخلق فيها، مالم ينله غيره في مطرد العادة، فهذه أعظم الكرامات والمعجزات وهو حال نبينا محمـــد ﷺ وأبي بكر الصديق وعمر وكل المسلمين"[3]. ثم ذكر رحمه الله أمثلـــة لـــذلك فقال: "وأما **المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم فمثل**

---

(1) المرجع السابق:(201/11).
(2) المرجع السابق:(398/11).
(3) المرجع السابق: (324/11).

قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بان ببطن زوجتـــه أنثـــى[1]، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً. وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام"[2] ومن ذلك أيضا ما حدث لعمر ابن الخطـــاب ﷺ وكان" قد أرسل جيشاً فجاء شخص وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش. وشاع الخبر، فقال عمر ﷺ : من أين لكم هذا؟ قالوا: شـــخص صـــفته كيت وكيت فأخبرنا، فقال عمر ﷺ : ذاك أبو الهيـــثم بريـــد الجـــن، وسيجيء بريد الإنسان بعد ذلك بأيام"[3] هذا الذي ذكره شيخ الاسلام رحمه الله عن أولياء الله المتقين من اخبار بأمور مـــستقبلية لا يعـــد مـــن الاخبار بالغيب، بل هو من الوحي العام لجميع المؤمنين[4]، أو هو علـــى سبيل التفرس وغلبة الظن، كما قال علي ﷺ :"كنا نقول أن الـــسكينة تنطق على لسان عمر وقلبه" وقال عبدالله بن عمر ﷺ :"ما سمعت عمـــر يقول لشيء قط: إني لأظن كذا وكذا إلا كان ما يظن"[5] يقول الشاطبي رحمه الله:" **فإذا لاح لأحد من أولياء الله شيء من أحوال الغـــير فـــلا يكون على علم منها محقق لا شك فيه. بل على الحـــال الـــتي يقـــال فيها:(أرى) أو(أظن) فإذا وقع مطابقاً في الوجود وفرض تحققه بجهـــة**

---

(1) عندما حضرت أبابكر الصديق الوفاة قال لعائشة : والله يابنية مامن الناس أحب إلي غنىً بعدي منك ولا أعز علي فقرا منـــك إني كنت نحلتك جذاذ عشرين وسقا فلو كنت جذذتيه واحتزتيه كان لك. وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختـــاك فاقتسموه على كتاب الله عز وجل ، قالت عائشة: يا أبة لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى؟! فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية. هذه كانت زوجة أبي بكر وهي حبيبة بنت خارجة بن زيد وكانت حاملا حين توفي أبوبكر فولدت بعده أم كلثوم فتزوجها طلحة بن عبيدالله فصدق الله ظن أبي بكر. ذكر ذلك اللالكائي في كرامـــات أوليـــاء الله ص: 117.والشاطبي في الموافقات:(82/4) طبعة دار المعرفة بيروت، تحقيق الشيخ عبدالله دراز.

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(318/11)..

(3) المرجع السابق:(88/13).

(4) انظر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية عن الوحي العام ص:(169) من هذا الكتاب.

(5) أولياء الله المتقين للالكائي تحقيق د. أحمد سعد حمدان ص:(118و119).

المطابقة أولاً والاطراد ثانياً فلا يبقى للإخبار به بعد ذلك حكم لأنه جار من باب الحكم على الواقع، فاستوت الخارقة وغيرها"[1]

ثَمَّت فرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان من حيث وقوع الكشف منهما، إذ ليس كل ما يظهر على يدى الإنسان من خوارق كرامة، بل منها ما يكون كذلك ومنها مالا يكون كذلك، يبين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول:"المكاشفات تقع بعض الأحيان من أولياء الله وأحياناً من إخوان الشياطين، وهؤلاء الذين أحوالهم شيطانية قد يأكل أحدهم المآكل الخبيثة حتى يأكل العذرة وغيرها من الخبائث بالحال الشيطاني، وهم مذمومون على هذا، فإن أولياء الله هم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث. فمن أكل الخبائث كانت أحواله شيطانية. **فإن الأحوال نتائج الأعمال**. فالأكل من الطيبات والعمل الصالح يورث الأحوال الرحمانية: من المكاشفات، والتأثيرات التي يحبها الله ورسوله. وأكل الخبائث وعمل المنكرات يورث الأحوال الشيطانية التي يبغضها الله ورسوله." [2]

قال الشاطبي رحمه الله:"فلا يصح أن تراعى وتعتبر - الخوارق والعجائب- إلا بشرط أن لاتخرم حكماً شرعياً ولا قاعدة دينية، فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكما شرعيا ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيال أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان لمعارضته لما هو ثابت مشروع." [3] وقال

(1) الموافقات للشاطبي:(85/4).
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(499/27).
(3) الموافقات للشاطبي بتصرف يسير:(266/2).

رحمه الله:"إذ ليس القصد بالكرامات والخوارق أن تخرق أمراً شرعياً، ولا أن تعود على شيء منه بالنقض، وكيف وهي نتائج عن اتباعه. فمحال أن ينتج المشروع ماليس بمشروع، أو يعود الفرع على أصله بالنقض. هذا لايكون البتة" (1)

2- مجال السمع والرؤية والعلم:

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " **فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره. وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناما. وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيا وإلهاما، أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادق**، ويسمى كشفا ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات، فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفة أي كشف له عنه (2). وقال رحمه الله: " السماع، والمخاطبات، والمحادثات، ثلاثة أقسام: في الباطن والظاهر. فإن السامع إما أن يسمع نفس الصوت الذي هو كلام المتكلم الصوتي، أو غير كلامه. كما ترى عينه، وإما أن يسمع صدى الصوت ورجعه كما يرى تمثاله في ماء، أو مرآة، فهذه رؤية مقيدة، وسماع مقيد، كما يقال: رأيته في المرآة، لكن السمع يجمع بين الصورتين. وإما أن يتمثل له: يعني كلامه في أصوات مسموعة، كما يتمثل له في صورة فيراها، مثل أن ينقر بيده نقرات، أو يضرب بيده أوتاراً، أو يظهر أصواتاً منفصلة عنه، يبين فيها مقصوده، وكذلك في الباطن: إما أن يسمع في المنام، أو في اليقظة نفس كلام

---

(1) المرجع السابق:(272/2).
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(313/11).

المتكلم. مثل الملائكة مثلاً، كما يرى بقلبه عين ما يكشف له في المنـــام، واليقظة. وإما أن يسمع مثال كلامه في نفسه، كما يرى مثاله في نفـــسه بمترلة الرؤيا التي يكون تعبيرها عين ما رؤي، وإما أن تتمثل له المعـــاني في صورة كلام مسموع يحتاج إلى تعبير، كما تتمثل له الأعيان في صـــورة أشخاص مرئية تحتاج إلى تعبير، وهذا غالب ما يرى، ويسمع في المنـــام، فإنه يحتاج إلى تأويل، وهو بمترلة الاستعارة، والأمثال المضروبة، فهذا هذا. والله أعلم" [1].

3- مجال التأثير والقدرة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " **وما كان من باب القـــدرة فهو التأثير، وقد يكون همة وصدقا ودعوة مجابة، وقد يكون من فعـــل الله الذي لا تأثير له[2] فيه بحال، مثل هلاك عدوه بغير أثر منه** كقوله: "من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب" [3]. ومثل تذليل النفوس له ومحبتها إياه ونحو ذلك. وكذلك مـــا كان من باب العلم والكشف قد يكشف لغيره عن حاله بعض أمور، كما قال النبي ﷺ في المبشرات: "هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الـــصالح أو ترى له[4]" رواه الإمام أحمد وكما قال النبي ﷺ: " أنتم شـــهداء الله في الأرض[5]"" [6].

---

(1) المرجع السابق:(636/11).

(2) أي للعبد.

(3) لم أجده بهذا اللفظ في المصادر المتاحة بين يدي، وقد تقدم بلفظ آخر ص:(95).

(4) أخرجه أحمد في مسنده:(378/5) رقم:(22807)، دار الكتب العلمية. وصححه الألباني في الصحيحة رقم:(1786).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه رقم:(1367) كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، طبعة دار السلام.

(6) مجموع فتاوى ابن تيمية:(314/11).

وقال رحمه الله: " **والقدرة مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب،** وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد، وسفينة مولى رسول الله ﷺ، وأبي مسلم الخولاني، وأشياء يطول شرحها، فإن تعداد هذا مثل المطر،... وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه" [1].

متى تخرق العادة:

متى ما كان العبد صادقا في تدينه، طائعا لربه، واحتاج في لحظة من اللحظات إلى ما يُثبِّت الله به فؤاده على الحق أو يزيل عنه شَّكاً، أويصرف عنه كيداً، بعد انعدام الأسباب وتعلق القلب برب الأرض والسماء، فقد تخرق له العادة وتحدث له الكرامة بإذن الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومما ينبغي أن يعرف **أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته** ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته؛ ولهذا كانت هذه الأمور من التابعين أكثر منها في الصحابة؛ بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة."[2]. ثم قال رحمه الله: "**إن الخوارق النافعة تابعة للدين حادثة له،** كما أن الرياسة النافعة هي تابعة للدين، وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال بيد النبي ﷺ وأبي بكر

(1) المرجع السابق:(318/11).
(2) المرجع السابق:(283/11).

وعمر رضي الله عنهما، فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعا لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل فهو يشبه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة فإن ذلك مأمور به وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة"(1).

يقول الشاطبي رحمه الله في مجال الأخذ بالخوارق:" إن الأمور الجائزات أو المطلوبات يجوز العمل فيها .. على أوجه:

أحدها: أن يكون في أمر مباح، كأن يرى المكاشف أن فلاناً يقصده في الوقت الفلاني، أو يعرف ما قصد إليه في إتيانه من موافقة أو مخالفة، أو يطلع على ما في قلبه من حديث أو اعتقاد حق أو باطل، وما أشبه ذلك، فيعمل على التهيئة له حسبما قصد إليه، أو يتحفظ من مجيئه إن كان قصده الشر، فهذا من الجائز له، كما لو رأى رؤيا تقتضي ذلك، لكن لا يعامله إلا بما هو مشروع.

الثاني: أن يكون العمل عليها لفائدة يرجو نجاحها، فإن العاقل لا يدخل على نفسه ما لعله يخاف عاقبته، فقد يلحقه بسبب الإلتفات إليها عجب أو غيره، والكرامة كما أنها خصوصية، كذلك هي فتنة واختبار، لينظر كيف تعملون.

الثالث: أن يكون فيه تحذير أو تبشير ليستعد لكل عدته. فهذا أيضاً جائز، كالاخبار عن أمر يترل إن لم يكن كذا، أو لا يكون إن فعل كذا، فيعمل على وفق ذلك." (2)

---

(1) المرجع السابق:(334/11).

(2) الموافقات للشاطبي:(273/2-274).

أسباب خرق العادة:

"إن عادة الله في المسببات أن تكون على وزن الأسباب في الاستقامة والاعوجاج، والاعتدال والانحراف، فالخوارق مسببات عن الأسباب التكليفية، **فبقدر اتباع السنة في الأعمال، وتصفيتها من شوائب الأكدار، وغيوم الأهواء، تكون الخارقة المترتبة**. فكما يعرف من نتائج الأعمال العادية صواب تلك الأعمال أو عدم صوابها، كذلك ما نحن فيه." [1] ومن أهم الأعمال التي يجب مراعاتها وتعاهدها:-

1- إخلاص العمل لله:

قال الله تعالى:﴿**وَمَا أُمِرُوٓا إلا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة:5].

فالذين آمنوا بالله ورسوله، وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، وأقاموا الصلاة، وآتَوُا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى أُولَئِكَ هُمْ صفوة الخلق حقا، كما قال سبحانه:﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ**﴾ [البينة:7].

فلا يليق بمن عرف ربه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى أن يكون مقصوده من العمل والاجتهاد في الطاعة نيل الكرامة، لأن إخلاصه يكون للكرامة لا لله سبحانه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن الدين هو إقامة حق العبودية وهو فعل ما عليك وما أمرت به، وأما الخوارق فهي من حق الربوبية إذا[2] لم يؤمر العبد بها، وإن كانت بسعي من العبد فإن

(1) الموافقات للشاطبي:(278/2).

(2) هكذا في الأصل ولعل الصواب"إذْ" .

الله هو الذي يخلقها بما ينصبه من الأسباب، والعبد ينبغي له أن يهتم بما عليه وما أمر به"[1].

2- الاستقامة على دين الله تعالى:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " **إن الدين علما وعملا إذا صح فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه.** قال تعالى:﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَهُ مَخرَجًا.وَيَرزُقهُ مِن حَيثُ لاَ يَحتَسبُ** ﴾ [الطلاق:2،3] ، وقال سبحانه:﴿**إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجعَل لَكُم فُرقَانًا**﴾[الأنفال: 29] وقال سبحانه:﴿ **وَلَو أَنَّهُم فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيرًا لَهُم وَأَشَدَّ تَثبِيتًا.وَإِذًا لآتَينَاهُم مِن لَدُنَّا أَجرًا عَظِيمًا.وَلَهَدَينَاهُم صِرَاطًا مُستَقِيمًا**﴾ [النساء: 66-68] وقال سبحانه:﴿**أَلاَ إِنَّ أَولِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ.الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ.لَهُم البُشرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [يونس: 62-64]، وقال رسول الله ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله[2]" ثم قرأ قوله تعالى:﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلمُتَوَسِّمِينَ**﴾ [الحجر:75]، رواه الترمذي وحسنه من رواية أبي سعيد. وقال الله تعالى فيما روى عنه رسول الله ﷺ: " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة...الخ"، فهذا فيه محاربة الله لمن حارب وليه وفيه أن محبوبه به يعلم

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(333/11).

(2) سنن الترمذي:(3127)، مجمع الزوائد: رقم:(17940) قال الهيثمي: رواه الطبراني، وإسناده حسن. ضعفه الألباني رحمه الله وقال"وهو وإن كان ضعيف الإسناد من جميع طرقه كما بينته في الضعيفة:(1821) فلا أقل من أن يصلح شاهدا لهذا ولا عكس" يقصد هذا الحديث:(إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسُّم) السلسلة الصحيحة:(1693).

سمعا وبصرا وبه يعمل بطشا وسعيا، وفيه أنه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع ويصرف عنه ما يستعيذ به من المضار وهذا باب واسع"[(1)].

3- إقامة الحجة لإظهار دين الله أو الحاجة للطعام والشراب:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فهذا القسم هو مقتضى﴿**إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ**﴾ إذ الأول هو العبادة ، والثاني هو الاستعانة ، وهو حال نبينا محمد ﷺ والخواص من أمته المتمسكين بشرعته ومنهاجه باطنا وظاهرا، **فإن كرامتهم كمعجزاته لم يخرجها إلا لحجة أو لحاجة، فالحجة ليظهر بها دين الله ليؤمن الكافر ويخلص المنافق ويزداد الذين آمنوا إيمانا، فكانت فائدتها إتباع دين الله علما وعملا كالمقصود بالجهاد. والحاجة كجلب منفعة يحتاجون إليها كالطعام والشراب وقت الحاجة إليه أو دفع مضرة عنهم ككسر العدو بالحصى الذي رماهم به** فقيل له:﴿ **وَمَا رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾ [الأنفال: 17] وكل من هذين يعود إلى منفعة الدين كالأكل والشراب وقتال العدو والصدقة على المسلمين فإن هذا من جملة الدين والأعمال الصالحة" [(2)].

4- تعرض المجاهدين في سبيل الله للأذى:

من آذى المجاهدين في سبيل الله، فقد عرض نفسه لسخط الله وغضبه، وكان ذلك سبباً لاستجابة الله دعاءهم، وخرق العادة لهم فعن علي رضي الله عنه قال: قالَ النَّبِيُّ ﷺ : "**اتَّقُوا أَذَى الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لَهُمْ كَمَا يَغْضَبُ للرُّسُلِ، وَيَستَجِيبُ لَهُمْ كَمَا**

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(331/11).
(2) المرجع السابق:(325/11).

يَسْتَجِيبُ لَهُمْ"(1). وعن ابنِ عُمَرَ أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: "**الغـــازي في سبيل الله والحاج والمعتمـــر، وفـــد الله دعـــاهم فأجـــابوه وســـألوه فأعطاهم**"(2).

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: "من عادى لي وليا فقد آذنتـــه بالحرب" (3) أي فقد أعلمته بأني محارب له ، حيث كان محاربا لي بمعاداة أوليائي. ولهذا جاء في حديث عائشة:"فقد استحل محاربتي"(4) أي أن فيه محاربة الله لمن حارب وليه وفيه أن محبوبه به يعلم سمعا وبصرا وبه يعمـــل بطشا وسعيا، وفيه أنه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع ويصرف عنه مـــا يستعيذ به من المضار وهذا باب واسع.

وروى الإمام أحمد في الزهد بإسناده عن وهب بن منبه ، قـــال: إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام حين كلمه: " اعلم أن من أهان لي ولياً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني، وعرض نفسه ودعاني إليها، وأنـــا أسرع إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لله؟ أو يظن الذي يُعازُّني(5) أن يعجزني؟ أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني؟ وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، فلا أكل نصرهم إلى غيري"(6).

---

(1) كنز العمال:(729/1)، رقم:(10664)،جامع المسانيد والمراسيل، جلال السيوطي:(89/1)

(2) أخرجه ابن ماجه: رقم:(2893)، وصححه الألباني في الصحيحة: رقم:(1820)، صحيح الجامع: رقم:(4171).

(3) تقدم تخريجه ص:(95).

(4) أخرجه أحمد في مسنده:(286/6) رقم:(26247)، لفظ أحمد:" من أذل لي وليا فقد استحل محاربتي وما تقرب.." والحديث صححه حمزة أحمد الزين متمم تحقيق المسند بعد وفاة أحمد شاكر.

(5) أي يُغالبني.

(6) جامع العلوم والحكم:(334/2)؛ انظر: تفسير ابن كثير:(247/5). مسند ابن شهاب بلفظ مختلف:(326/2)، مؤسسة الرسالة.

أمثلة لمن استجاب الله دعاءهم:

أ- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

دعا على رجل سمعه يشتم عليًّا رضي الله عنه فما برح مكانه حتى جاء بعير ناء فخبطه بيديه ورجليه حتى قتله[1].

ب- مطرف بن عبدالله بن الشخير:

كذب رجل على مطرِّف بن عبدالله بن الشِخِّير ، فقال له مطرف: إن كنت كاذباً فعجل الله حتفك فمات الرجل مكانه [2].

ج- أبو مسلم الخولاني:

خببت – أفسدت – امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت، وجاءت وتابت فدعا لها فرد الله عليها بصرها[3].

5- إنجاء المؤمنين:

إذا تعرض المؤمن الصادق إلى ظلم الظالمين، وعدوان المعتدين، فإن ذلك سببا ومدعاة لنصر الله له وحفظه وكفايته وإنجائه، فهذه سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " إن الدين علما وعملا إذا صح فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَهُ مَخرَجًا. وَيَرزُقهُ مِن حَيثُ لاَ يَحتَسِبُ**﴾[الطلاق: 2-3] [4].

(1) جامع العلوم والحكم:(355/2).

(2) المرجع السابق.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية:(279/11).

(4) المرجع السابق:(331/11).

فالسعي لتحقيق الإيمان وتكميله وتعلق القلب بالله عند الملمات سبب رئيس في تفريج الكربات وحدوث الكرامات، ومن تأمل قصص القرآن الكريم وكيف نجى الله عباده المؤمنين من المجرمين اتضح له ذلك، وأسوق لك مثالا على ذلك، احتوى على الكثير من الفوائد والعبر، والتي قل أن تجد مثلها في غيره:

فوائد وعبر من قصة موسى عليه السلام مع فرعون:-

يقول ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: " قال الله تعالى:﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمعَانِ قَالَ أَصحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدرَكُونَ.قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهدِينِ.فَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى أَن اضرِب بِعَصَاكَ البَحرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرقٍ كَالطَّودِ العَظِيمِ**﴾ [الشعراء: 61-63]، ينبغي أن نعلم ما الفائدة بالإخبار[1] بهذه القصة لنا وما لنا فيها من التأسي بمقتضى الحكمة... لأنه لم تقص علينا القصص عبثا لأن الله عز وجل يقول:﴿**فَاقصُص القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: 176]، فالفائدة في ذلك والله أعلم أنه لما لم يخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلا بعد ما أمره الله تعالى بذلك ثم قام البحر أمامهم ورأوا الجمع وراءهم وقد وقع العين بالعين أيقنوا بالعادة الجارية أنهم مدركون قطعا فسألوا موسى عليه السلام لعله يكون عنده أمر من الله تعالى يفعله عند وقوع العين بالعين لأن قولهم "إنا لمدركون" وهو عليه السلام قد أبصر من الجمع والبحر. ما الفائدة فيه إلا استخراج ما عنده في ذلك! **فلم يكن عنده شيء مستعد للعدو إلا أنه يعلم أن الذي أمره ووفقه لامتثال أمره هو معه ولا يسلمه**، فلم ينظر

(1) هكذا في الأصل ولعل الصواب من الإخبار.

في ذلك إلى مقتضى العوائد الجارية ولا غير ذلك، **لأن قدرة الله تعالى لا تنحصر للعادة**، يفعل عز وجل ما شاء، فقال جوابا لهم:﴿**كَلاَّ إِنَّ مَعِــي رَبِّي سَيَهدِينِ**﴾ يقول بمتضمن قوة كلامه يا قوم ليس لي شيء أفضلكم به إلا قوة إيمان بالله، ويقين به، وصدق معه، فهو يهديني لمـــا فيـــه نجـــاتي ونجاتكم، فما فرغ من كلامه إلا ونزل عليه قوله تعالى:﴿**فَأَوحَينَا إِلَـى مُوسَى أَن اضرِب بِعَصَاكَ البَحرَ**﴾ فجاءه الجواب من الله بالفاء التي تعطي التعقيب والتسبب لما أخبرهم بحاله مع ربه في الحال أتته الهداية كما يليق بالعظيم الجليل إلى الضعيف إذا وثق به فكان من أمرهم وأمر عدوهم ما قص عز وجل".

ثم يقول رحمه الله: "كذلك أنت يا من قُصَّت عليه هذه القـــصة إذا كنت ممتثلاً لأمر ربك كما أمرك و لم تعلق قلبك بسواه يمـــدك بالنـــصر والظفر في كل موضع تحتاج إليه ولا تقف في ذلك مع عادة جارية كمـــا فعل أصحاب موسى عليه السلام **فكن موسوي العقل يغـــرق فرعـــون هواك بلطف مولاك في بحر التلف وكذلك كل من أرادك بسوء** قال عز وجل في محكم التنزيل:﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَينَا نَصرُ المُؤمِنِينَ**﴾ [الـــروم: 47] **لأن القصص إذا ذكرت بعد الوعد كانت تصديقاً له وتأكيداً**، وقد قال تعالى:﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُركُم**﴾ [محمد: 7] ونصرة العبد إلى[1] الله إنما هي باتباع أمره واجتناب نهيه **وفي هذه القصة إشارة لطيفة وهي أنه إذا كان واحد ممن هو ممتثل في جمع وهم له مطيعون أنهم ينصرون**، يؤخـــذ ذلك من أنه لم يكن على يقين موسى عليه السلام في القوم غـــيره فلمـــا

(1) هكذا في الأصل ولعل الصواب : ونصرة العبد لله.

كانوا له مطيعين عادت على الكل تلك البركة بذلك النصر العجيب. وفيه أيضا إشارة وهي أكيدة في هذا المعنى وهي أنه **لما بادر عليه السلام للأمر ممتثلا علم بحقيقة الإيمان أن الآمر لا يترك من أمره وامتثل أمره فإنه خلف والخلف في حق الله تعالى محال فإذا رأى المرء نفسه قد قام بأمر ربه كما أمره إيماناً واحتساباً فلا يشك في النصر ولا يدخله في ذلك امتراء فإن دخله شك فهو ضعيف في التصديق وإذا ضعف تصديقه وهو إيمانه خان نفسه وهو لا يشعر وهذا من خداع العدو وقد يبطئ عليه النصر من أجل ذلك فلا يزال مع الإبطاء يضعف إيمانه حتى قد يكون سبباً إلى الشقاوة العظمى وهو من مكايد العدو** وقد قال تعالى في كتابه مثنياً على من قام بأمره في هذا المعنى الذي أشرنا إليه ومخبراً بحالهم الجليل كيف كان ليقع بهم التأسي في ذلك الشأن فقال عز وجل:﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُم النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَمَعُوا لَكُم فَاخشَوهُم فَزَادَهُم إِيمَانًا وَقَالُوا حَسبُنَا اللَّهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ.فَانقَلَبُوا بِنِعمَةٍ مِن اللَّهِ وَفَضلٍ لَم يَمسَسهُم سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضلٍ عَظِيمٍ**﴾[آلعمران:173-174] أي الله يكفينا والآي في هذا المعنى كثير"[1].

(1) بهجة النفوس، ابن أبي جمرة الأندلسي:(128/2-129)، طبعة دار الجيل.

صور من كرامات الأولياء لإقامة الحجة أو الحاجة:

كرامات سببها الحجة لإظهار دين الله تعالى:

1- خالد بن الوليد رضي الله عنه :

حاصر حصنا منيعا فقالوا لا نسلم حتى تشرب السم فشربه فلم يضره[1].

2- العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه :

كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا عليُّ يا عظيم فيستجاب له، ودعا الله بأن يُسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء والاسقاء لما بعدهم فأجيب، ودعا الله لما اعترضهم البحر و لم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات فلم يجدوه في اللحد"[2].

"وقد قال رجل من المسلمين في مرورهم في البحر وهو عفيف ابن المنذر:

ألم تر أن الله ذَلَّلَ بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا إلى شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل"[3]

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(277/11).

(2) المرجع السابق:(278/11).

(3) مواكب الشهداء، محمد خالد ثابت، ص:(239-240)، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1422هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا: " وجرى مثل ذلك "**لأبي مسلم الخولاني**" الذي ألقي في النار، فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها ثم التفت إلى أصحابه فقال تفقدون من متاعكم شيئا حتى أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال: أتبعني، فتبعه فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها، وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله. قال ما أسمع ، قال أتشهد أن محمدا رسول الله"ﷺ "؟ قال نعم، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقد صارت عليه برداً وسلاماً، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله"[1].

3- صلة بن أشيم رحمه الله:

مات فرسه وهو في الغزو فقال اللهم لا تجعل لمخلوق عليَّ منة ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال يا بني خذ سرج الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات الفرس[2].

4- قصة سارية:

"عن ابن عمر رضي الله عنه قال: وجه عمر رضي الله عنه جيشاً وولَّى عليهم رجلا يدعى **سارية،** فبينما عمر يخطب جعل ينادي "يا سارية، الجبل**!**" ثلاثا. ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هُزِمْنا فبينا

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(280/11).
(2) المرجع السابق:(280/11).

نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادي ''يا سارية الجبل''، ثلاثـــا، فأســـندنا ظهرنا إلى الجبل، فهزمهم الله. قال فقيل لعمر: إنك كنت تصيح هكـــذا وهكذا. وفي رواية "بينما عمر بن الخطاب ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة وقع في خاطره أن الجيش الذي أرسله مع سارية إلى نهاوند بفارس لاقـــى العدو وهم في بطن وادٍ وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل، فقال ذلك في أثناء خطبته ورفع به صوته فألقاه الله في سمع سارية فانحاز بالنـــاس إلى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم."[1]

فالله عز وجل القدير بلغ صوت عمر ﷺ لسارية، يقـــول شـــيخ الإسلام ابن تيمية: "وعمر ﷺ لما نادى يا سارية الجبل! قـــال: إن للّـــه جنوداً يبلغون صوتي. وجنود الله هم من الملائكة ومن صـــالحي الجـــن، فجنود الله بلغوا صوت عمر إلى سارية، وهو أنهم نادوه بمثـــل صـــوت عمر[2]، وإلا نفس صوت عمر لا يصل نفسه في هذه المـــسافة البعيـــدة، وهذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه، فيقول: يا فلان! فيعـــان علـــى ذلك فيقول: الواسطة بينهما يا فلان، وقد يقول لمن هو بعيد عنه يا فلان احبس الماء، تعال إلينا، وهو لا يسمع صوته، فيناديه الواسطة بمثل ذلك يا فلان احبس الماء، أرسل الماء؛ إما بمثل صوت الأول إن كان لا يقبـــل إلا صوته وإلا فلا يضر بأي صوت كان إذا عرف أن صاحبه قد ناداه" [3].

---

(1) كشف الخفاء لإسماعيل العجلوني، رقم:(3172)، دار الكتب العلمية؛ وقال: رواه حرملة في جمعه لحديث ابن وهب، وإسناده حسن كما قال الحافظ ابن حجر ؛ وكذا رواه الواقدي عن أسامة بن زيد عن ابن أسلم عن أبيه عن عمر؛ وأخرجهـــا ســـيف مُطَوّلة عن رجل من بني مازن؛ والبيهقي في الدلائل؛ واللالكائي في شرح السنة؛ وابن الأعرابي في كرامات الأولياء.

(2) انظر مجال السمع والرؤيا والعلم ص:(109).

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية:(88/13).

5- قصة أبي سعد البقال:

ذكر القاضي أبو علي التنوخي صاحب كتاب الفرج بعد الشدة أن أبا سعد البقال قال: " كنت محبوسا في ديماس - هي الحفرة العميقة تحت الأرض لا ينفذ إليها الضوء – وكان سجن الحجاج يسمى ديماس الحجاج، ومعنا إبراهيم التيمي، فبات في السجن، فأتى رجل، فقال له: يا أبا إسحاق، في أي شيء حبست؟ فقال: جاء العريف، فتبرأ مني، وقال: إن هذا كثير الصوم والصلاة وأخاف أنه يرى رأي الخوارج ثم قال: ووالله إنه لرأْيٌ ما رأيته قط ولا أحببته ولا أحببت أهله، يا هؤلاء ادعو لي بوضوء، فدعونا له به، ثم قام فصلى أربع ركعات، ثم قال: **اللهم إنك تعلم أني كنت على إساءتي وظلمي وإسرافي على نفسي، لم أجعل لك ولداً، ولا شريكاً، ولا نداً، ولا كفؤاً، فإن تعذب فعدل، وإن تعف فإنك أنت العزيز الحكيم، اللهم إني أسألك يامن لا تخلطه المسائل، ولا يشغله سمع عن سمع، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين، أن تجعل لي في ساعتي هذه فرجاً ومخرجاً مما أنا فيه، من حيث أرجو، ومن حيث لا أرجو، وخذ لي بقلب عبدك الحجاج وسمعه وبصره ويده ورجله حتى تخرجني في ساعتي هذه، فإن قلبه وناصيته، بيدك يارب، يارب.** قال: وأكثر، فوالذي لا إله غيره، ما انقطع دعاؤه، حتى ضرب باب السجن وقيل أين فلان. فقام صاحبنا: فقال: يا هؤلاء: إن تكن العافية، فوالله لا أدع الدعاء لكم، وإن تكن الأخرى، فجمع الله بيننا وبينكم، في مستقر رحمته. قال: فبلغنا من الغد أنه خلي سبيله"[1].

---

(1) الفرج بعد الشدة:(261/1)، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر بيروت.

كرامات سببها الحاجة إلى الطعام والشراب وتثبيت للمؤمنين:

1- خبيب بن عدي ﷺ:

كان أسيرا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة[1].

2- محمد بن المنكدر رحمه الله:

كان في غزاة فقال له رجل من رفاقه: أشتهي جبنا رطبا، فقال بن المنكدر: استطعموا الله يطعمكم فإنه القادر، فدعا القوم فلم يسيروا إلا قليلا حتى رأوا مكتلا مخيطا فإذا هو جبن رطب، فقال بعض القوم لو كان عسلا، فقال بن المنكدر: إن الذي أطعمكم جبناً هاهنا قادر على أن يطعمكم عسلاً فاستطعموه فدعوه فساروا قليلاً فوجدوا ظرف عسل على الطريق فترلوا فأكلوا"[2].

3- إبراهيم التيمي رحمه الله:

كان يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله ففتحها فإذا هي حنطة حمراء فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى آخرها حبا متراكبا[3].قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:" وهذا باب واسع قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع وأما ما نعرفه في هذا الزمان فكثير"[4].

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(276/11).
(2) جامع العلوم والحكم:(355/2).
(3) مجموع فتاوى ابن تيمية:(282/11).
(4) المرجع السابق:(282/11).

الباب الثالث

الفصل الأول
أعمال المحتجب

ينبغي للمحتجب أن يتحلى بصفات المؤمنين التي أثنى الله على من اتصف بها في كتابه العزيز، كما ينبغي عليه أن يحرص على اتقان عمله، ويستعن بالله تعالى ويتوكل عليه في جميع أحواله ومن تلك الأحوال:

أولا: حال الاضطرار :-

1- الأخذ بكافة الأسباب المتاحة :

يجب على العبد أن يحرص على الأخذ بالأسباب، ولا يفرط فيها، ولا يعلق قلبه بها البتة، استعانةً وتوكلاً، فنبينا ﷺ لم يقدم على الهجرة حتى جهز راحلته، وأخذ زاده، وبحث عن الدليل الحاذق العالم بأفضل الطرق وآمنها، بل إن النبي ﷺ مكث في الغار هو وصاحبه ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب، فجاءهما عبدالله بن أريقط بالراحلتين فارتحلا، وأردف أبوبكر عامر بن فهيرة وسار الدليل أمامهما وعين الله تكلؤهما وتأييده يصحبهما.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : " ولا نعرف بشراً أحق بنصر الله وأجدر بتأييده من مثل هذا الرسول ﷺ الذي لاقى في جنب الله ما لاقى، ومع ذلك **فإن استحقاق التأييد الأعلى لا يعني التفريط قيد أنملة في استجماع أسبابه وتوفير وسائله. وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها كأنها كل شيء في النجاح ثم يتوكل بعد ذلك على الله لأن كل شيء لا قيام له إلا بالله**، فإذا استفرغ المرء جهوده في أداء واجبه

فأخفق فإن الله لا يلومه على هزيمة بلي بها، وقلما يحدث ذلك إلا عن قدر قاهر يعذر المرء فيه! وكثيراً ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً ثم يجيء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار"[1].

2- الدعاء:

أقرب الدعاء إجابة دعاء الحال، فمن التجأ إلى الله بصدق واستغاثة باضطرار أجيب في الحال: قال الله تعالى:﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾ [النحل: 62]. وقال سبحانه:﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾ [الأنفال: 9]. **فينبغي للمضطر ألا يذهل عن الدعاء ففي الآية إشارة إلى أن دعاءه مستجاب**. يقول ابن رجب رحمه الله: " فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته.

وقال رسول الله ﷺ: "ثنتان لا تردان أو قلَّ ما تردان: الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضه بعضا"[2]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر، وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم"[3].

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء[4]"[5].

(1) فقه السيرة للغزالي ص:(159).
(2) أخرجه أبو داود رقم:(2540)، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء.
(3) أخرجه ابن ماجه رقم:(2893)، وصححه الألباني في الصحيحة: رقم:(1820)، صحيح الجامع: رقم:(4171).
(4) أخرجه الترمذي رقم:(3382)، وأخرجه الحاكم:(544/1)، وصححه ووافقه الذهبي.
(5) جامع العلوم والحكم:(474/1).

كما ينبغي للعبد ألا يغفل عن آداب الدعاء، مثل أن يبدأ بحمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ ، ويظهر فقره وحاجته واضطراره بين يدي ربه ، بمثل ذكر كلمات الفرج التي أخبر عنها الرسول ﷺ: "كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم"[1]؛ وقال عليه السلام:" ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه؟ فقيل له: بلى، فقال: دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"[2].

قال ابن رجب رحمه الله: " اجتمع الفضيل بن عياض بشعوانة العابدة، فسألها الدعاء، فقالت: يا فضيل، وما بينك وبينه ما إن دعوته أجابك، فغشي على الفضيل"[3]

أمثلة لمن استجاب الله دعاءهم :

1- نباتة بن يزيد:

عن أبي سبرة النخعي قال: "أقبل رجل من اليمن فلما كان في بعض الطريق نفق حماره، فتوضأ وصلى ركعتين ثم قال: " اللهم إني جئت من الدثينة مجاهدا في سبيلك ابتغاء مرضاتك وأنا أشهد بأنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل لأحد علي اليوم مِنَّة أطلب إليك أن تبعث

---

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: رقم:(2045). وفي صحيح الجامع رقم:(4571) بلفظ:"... ورب العرش الكريم" وأخرجه أحمد:(339/1) بلفظ:" كان يقول عند الكرب.."

(2) المستدرك على الصحيحين للحاكم:(684/1) رقم:(1900). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم:(1744).

(3) جامع العلوم والحكم:(474/1).

لي حماري: قال: فقام الحمار ينفض أذنيه"[1]. خرجه البيهقي في دلائل النبوة وصحح إسناده الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته، وذكر البيهقي في أحد طرقه أن اسم هذا الرجل نباتة بن يزيد وأنه خرج في زمن عمر ﷺ غازيا فذكر القصة غير أنه قال: فباعه بعد بالكناسة فقيل له: تبيع حمارا أحياه الله لك ؟ قال: فكيف أصنع؟[2]

2- ابن أبي عبيد:

رُوي أنه غزا سنة من السنين فخرج في السرية فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية فقال: يارب أعرنا حتى نرجع إلى بسرى - قريته - فإذا المهر قائم فلما غزا ورجع إلى بسرى قال: يابني خذ السرج عن المهر، فقلت: إنه عرق فإن أخذت السرج داخلته الريح. فقال: يابني إنه عارية قال: فلما أخذت السرج وقع المهر ميتا.[3]

3- قصة رجل مع زياد بن أبي سفيان:

وعن حصين بن عامر قال: "كنت جالسا مع زياد بن أبي سفيان، فأتي برجل يحمل ما نشك في قتله، قال: فرأيته حرك شفتيه بشيء ما ندري ما هو، فخلي سبيله فأقبل إليه بعض القوم فقال: لقد جيء بك وما نشك في قتلك فرأيتك حركت شفتيك بشيء ما ندري ما هو فخلي سبيلك، قال قلت: **اللهم رب إبراهيم ورب إسحاق ورب يعقوب**

---

(1) طبقات الحفاظ للذهبي: 282/1، دار الصميعي.
(2) فرسان النهار من الصحابة الأخيار، د. سيد العفاني:(85/1).
(3) تاريخ دمشق، ابن عساكر:(208/55)،دار الكتب العلمية.

وربِ جبريل وميكائيل واسرافيل ومنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم أدرأ عني شر زياد"[1].

4- قصة جعفر بن محمد مع المنصور:

عن عامر بن صالح قالَ: "سمعت الفضل بن الرَّبِيعِ يُحَدثُ عن أبيه الرَّبيع، قال: قدم المنصور المدينة، فأتاه قوم فوشوا بجعفر بن محمَّد، وقالوا: إنَّه لا يَرىٰ الصَّلاةَ خَلْفك، ويَتَنَقَّصك ولا يرىٰ التسليم عليك، فقال: يـا ربيع ائتني بجعفر بن محمد، قتلني اللَّه إن لم أقتله، فدعوت به، فلما دخل عليه كلَّمه إلىٰ أن زال عنه الغضب، فلما خرج، قلت له: يـا أبا عبد الله همست بكلام أحببت أن أعرفه، قال: نعم، كان جدي عليٌّ بن الحسين رضي الله عنه يقول: مَنْ خَافَ مِنْ سُلْطَانٍ ظُلاَمَةً أَوْ تَغَطْرُساً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَامُ، وَاكْنُفْنِي بِكَنَفِكَ الَّذِي لاَ يُرَامُ، وَاغْفِرْ لِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، فَلاَ تُهْلِكْنِي بِكَنَفِكَ الَّذِي لاَ يُرَامُ، وَاغْفِرْ لِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، فَلاَ تُهْلِكْنِي وَأَنْتَ رَجَائِي، فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا شُكْرِي ؟ وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بها قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا صَبْرِي، يَـا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي، وَيَـا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلِيَّتِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذُلْنِي، وَيَـا مَنْ رَآنِي عَلىٰ الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي، وَيَـا ذَا النَّعْمَاءِ الَّتِي لاَ تُحْصىٰ، وَيَـا ذَا الأَيَادِي الَّتِي لاَ تَنْقَضِي، أَستَدْفَعُ بك[2] مَكْرُوهَ مَا أَنَا فِيهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِهِ يَـا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ"[3]

---

(1) الفرج بعد الشدة:(268/1).

(2) في الأصل بدون " بك" .

(3) جامع المسانيد والمراسيل، للجلال السيوطي:(393/21). كنز العمال، للمتقي الهندي:(386/1).

5- قصة رجل أُسر لمدة عشرين عاما :

عن عبدالله بن ثابت قال: أُسر رجلٌ من أهل بلدنا، فأقام مأســـوراً لمدة عشرين سنة، ثم خلَّصه الله، فجئته فيمن يهنِّئُه، فسألت عن خلاصه، فحدثنا أنه رأى في المنام ثلاث ليال متواليات من يعلمه هـــذا الـــدعاء، ويأمره أن يدعو به، ويقول له: بهذا الدعاء تخلص إلى بلاد الإســـلام إن شاء الله، قال فنسيته في الليلتين وحفظته في الثالثة، قال: والدعاء المذكور: تحصنت بالحي الذي لا يموت، ورميت كل من أرادني بسوء بلا حول ولا قوة إلا بالله، وأصبحت في جوار الله الذي لا يرام ولا يستباح، وحمى الله الكريم وذِمَّته التي لا تُخفر، واستمسكْتُ بالعروةِ الوثقى، وتوكلتُ على الله ربي ورب السموت والأرض لا اله إلا هو، واتخذت [الله][1] وليا ما شاء الله لا قوة الا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل. قال عبد الله بن ثابت: فاخبرني انه دعا بهذا الدعاء في الليل، ثم صلى الصبح وخرج من حـــبس القسطنطينية يحمل خرجه على كتفه، فلحقته خيل تركض، فقالوا لـــه: كيف أخذ الأسير الذي هرب من سجن الملك؟ فأومأ لهم إلى طريق عن يساره، ومضى حتى وصل إلى بلاد الإسلام، والحمدلله.[2]

3- الاحتجاب بتلاوة آيات من الذكر الحكيم:

سبق أن أوردت حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنـــها أنهـــا قالت: لما نزلت﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[المسد:1] ...وفيه أن رسول الله ﷺ: قال "**إنها لن تراني**"[3] **وقرأ قرآنا اعتصم به** كما قـــال وقـــرأ:

(1) في الأصل بدون لفظ الجلالة.

(2) كتاب المستغيثين بالله عند المهمات والحاجات: ص:(126).

(3) تقدم تخريجه ص:(56).

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً﴾ [الإسراء: 45]. فوقفت على أبي بكر و لم تر النبي ﷺ...". [1]

وسبق أن نقلت أيضا ماذكره المفسرون من أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يحتجب عن أعين الكفار يقرأ ثلاث آيات فيحجبه الله ببركة قراءته إياها:

الأولى هي: **﴿إِنَّا جَعَلنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِم وَقرًا﴾** [الكهف: 57].

الثانية هي: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَسَمعِهِم وَأَبصَارِهِم﴾**[النحل: 108].

الثالثة هي: **﴿أَفَرَأَيتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمعِهِ وَقَلبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾** [الجاثية: 23] [2].
وبينت أن هذه الآيات الثلاث لم يثبت الاحتجاب بها بخصوصها بسند صحيح عن النبي ﷺ ، ولمزيد من الإيضاح يمكن الرجوع إلى مبحث "الصواب في آيات الاحتجاب"[3]

4- التخلص من الخوف:

أ) ما يفعله المسلم إذا طرأ عليه الخوف :

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك:(393/2)، كتاب التفسير، تفسير سورة بني اسرائيل، وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(2) انظر وقوع الاحتجاب ص:(55).

(3) انظر الصواب في آيات الاحتجاب ص:(62).

قد يطرأ الخوف أو التردد على الجندي المسلم أثناء قيامه بمهامه الجهادية أو في احدى اللحظات الحرجة، فعليه معالجته بأحد الطرق التالية:-

الدعاء المأثور:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: "قلنا يوم الخندق: يارسول الله: هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: ""نعم، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا"" قال: فضرب الله عز وجل وجوه أعدائنا بالريح، هزمهم الله عز وجل بالريح"[1] وعن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوما قال: "اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم"[2]، وعن ثوبان ﷺ : أن النبي ﷺ : كان إذا راعه شيء قال:"هو الله ربي لا أشرك به شيئا"[3].

التشجيع والتحفيز:

على الجندي المسلم أن يشجع نفسه ويحفزها على الاقدام، ويذكرها بالأجر والمثوبة المترتبة على فعله، كما حدث للصحابي الجليل عبدالله بن رواحة ﷺ أنه تردد في احدى المعارك، من الاقدام على العدو أثناء المعركة، فكان يعالج ما طرأ عليه بهذه الأبيات :

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلنه أو لتكرهنة

(1) مشكاة المصابيح، التبريزي:(309/5)، دار الفكر؛ فتح الباري:(147/8)؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم:(2018).

(2) أخرجه أبي داود: رقم:(1537)، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا خاف، ؛ صحيح ابن حبان: :(94/5)، دار الفكر.

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم:(2070). أخرجه أحمد في مسنده:(401/6) رقم:(27145) بدون لفظة" هو" .

إذا جلب الناس وشدوا الرنه　　مالـــي أراك تكرهين الجنة
لطالمـــا قد كنت مطمئـــنة　　هل أنت إلا نطفة في شنـــة

وقال أيضا:

يـــا نفس إلا تقتـــلي تموتي　　هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيـــت فقد أعطيـــت　　إن تفعلى فعلـــهما هديت

ضَمُّ الجناحين:

إذا كان الجندي المسلم في مهام تجسسية، أو كان في حال هرب من سجن العدو، أو كان مطاردا من عدوه، فيمكن معالجة ما ينتابه من خوف وذعر بضم ذراعيه بعضهما إلى بعض، قال الله تعالى: ﴿**وَاضْـــمُمْ إِلَيكَ جَنَاحَكَ مِن الرَّهبِ**﴾ [سورة القصص: 33]، قال ابـــن عبـــاس رضي الله عنهما:" ليس من أحد يدخله رعب بعد موسى عليه السلام، ثم يدخل يده فيضعها على صدره إلا ذهب عنه الرعب"[1].

قراءة آيات السكينة:

إن قراءة آيات السكينة لها أثر في تَنَزُّل السكينة على قلب العبد المؤمن، يقول ابن القيم رحمه الله:" وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع: الأولى قوله تعالى:﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِـــهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [البقـــرة: 248] الثـــاني قولـــه تعالى:﴿**ثُمَّ أنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ على رَسُولِهِ وَعلى المُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة:26] الثالث قوله تعالى:﴿ **إِذْ يَقُولُ لِصَـــٰحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَـــأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾[التوبة: 40] الرابع قولـــه

(1) تفسير القرطبي:(13/ 284).

تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلارْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:3] الخامس قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18] السادس قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 26] الآية. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة.

وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة قال: فلما اشتدَّ عليَّ الأمرُ قلتُ لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة قال: ثم أُقلع عني ذلك الحال وجلست وما بي قلبة.

وقد جربتُ أنا أيضاً - ابن القيم - قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه فرأيت لها تأثيرا عظيما في سكونه وطمأنينته.

وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي يترله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا يترعج بعد ذلك لما يرد عليه ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات **ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب كيوم الهجرة** إذ هو وصاحبه في الغار والعدو فوق رءوسهم لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما **وكيوم حنين** حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلوي أحد منهم على أحد **وكيوم الحديبية** حين اضطربت قلوبهم من

تحكم الكفار عليهم ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملـها النفـوس وحسبك بضعف عمر رضي الله عنه عن حملها وهو عمر حتى ثبتـه الله بالصديق رضي الله عنه." [1]

ب) ما يقوله الجندي المسلم إذا وقع في الأسر وسِيق به إلى الأعداء:

إذا وقع الجندي المسلم في أسر العدو، وأخذ به إلى بلاد الأعداء، أو سيق به إلى المحققين فالواجب عليه أن يتصبَّر ويحتسب ويتحلى برباطـة الجأش، ليتمكن من حُسن التصرف فيقلِّل المفاسد عنـه وعـن اخوانـه المجاهدين بقدر الامكان، ويلزم ماورد من الأذكار عن الرسـول ﷺ في مثل هذا الظروف:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول:" ياولي الإسلام وأهله، ثبتني به حتى ألقاك"[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف أن يسطو بك فقل: الله أكبر، الله أكبر من خلقه جميعا، الله أعزُّ مما أخافُ وأحذر، أعوذُ بالله الممسك السموات السبع أن يقعـن علـى الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والأنس، إلهي كن لي جاراً من شرهم، جلَّ ثناؤك وعزَّ جارك وتبارك اسمـك ولا إلـه غيرك"[3]. وفي رواية بعد " ولا إله غيرك " " اللهم إنَّا نعوذُ بك أن يفرطَ علينا أحدٌ منهم أو أن يطغى".

---

(1) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، ابن القيم الجوزية:(502/2).

(2) أخرجه الطبراني في لأوسط:رقم (653) كذا في السلسلة الصحيحة للألباني رقم:(1823).

(3) مصنف ابن أبي شيبة:(25/7)، باب الرجل يخاف السلطان ما يدعو، دار الفكر؛ مجمع الزوائد:(198/10)، باب ما يقول إذا خاف سلطانا؛ وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إذا تخوَّف أحدكم سلطاناً فليقل رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لي جاراً من شر فلان بن فلان – يعني الذي يريد– وشر الجان والإنس وأتباعهم أن يفرط عليِّ أحد منهم، عزَّ جارك وجل ثنائك ولا إله غيرك"[1].

وعن أنس ﷺ قال: "علمني رسول اللَّه كلمات، لن يضُرَّني معهن عُتو جبَّار ولا عَتْرَسَتُهُ، مع تيسير الحوائج ولقاء المؤمنين بالمحبَّة: "اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، بِسْمِ اللَّهِ عَلىٰ نَفْسِي وَدِينِي، بِسْمِ اللَّهِ عَلىٰ أَهْلِي وَمَالِي، بِسْمِ اللَّهِ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ أَعْطَانِي رَبِّي، بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الأَسْمَاءِ، بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ ٱسْمِهِ دَاءٌ، بِسْمِ اللَّهِ ٱفْتَتَحْتُ، وَعَلىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ، اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِخَيْرِكَ مِنْ خَيْرِكَ الَّذِي لاَ يُعْطِيهِ غَيْرُكَ عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ: ٱجْعَلْنِي فِي عَيَاذِكَ وَجِوَارِكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَجِيرُ بِكَ مِنْ جَمِيعِ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْتَ، وَأَحْتَرِسُ بِكَ مِنْهُنَّ، وَأُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيَّ: **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.اللَّهُ الصَّمَدُ.لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ.وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾** عَنْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي وَتَحْتِي، يَقْرَأُ فِي هَذِهِ السِّتِّ: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**، إِلىٰ آخرِ السُّورَةِ"[2].

ج) ما يقوله المسلم إذا خذله المخذلون:

---

(1) مجمع الزوائد:(198/10)، وقال رواه الطبراني، وفيه: جنادة بن سلم، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(2) جامع المراسيل للجلال السيوطي:(488/18)،رقم:(13064).

إذا استجاب المؤمن لأمر ربه، فخذله المخذلون وخوفه الخـــائفون، فعليه بالثبات على طاعة ربه، ويقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، كما قال الصحابة الكرام، عندما أمرهم الرسول ﷺ بالتجهز للحاق بكفار قريش غداة غزوة أحد فاستجابوا لأمره على ما بهم من الجراح الحسية والمعنوية التي لحقت بهم، فخذلهم المخذلون ولكنهم ثبتوا على مرضاة الله، ووفّوا بما عاهدوا عليه الله من الاستجابة لرسول الله ﷺ في المنشط والمكره فقـــال سبحانه وتعالى ثناءً على شجاعتهم وثباتهم وعـــدم تـــأثرهم بتخـــذيل المخذلين: **﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْـــشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـــٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ. فَٱنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾** [آل عمران: 173-174].

ثانيا: في غير حال الاضطرار:

1- التهيئة النفسية:

أ- عدم اشتراط تكافؤ القوة مع العدو عند القتال:

إذا تيقّن الجندي المسلم بأن النصر على الأعداء لا يرتبط بالتكـــافؤ المثلي في العدد والعدة، كان لذلك أبلغ الأثر في تهيئته لملاقاة العـــدو وإن كان يفوقه في القوة، قال الله تعالى: **﴿...قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُـــوا اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الـــصَّابِرِينَ﴾** [البقرة:249]. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما جادله بعض الصحابة في

قتاله لأهل الردة:" أقاتلهم وحدي، ولو خالفتني يميني لقاتلتهم بشمالي"[1].

وفي معركة اليرموك الشهيرة" كان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول: الله الله! إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك! اللهمَّ إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك! **فقال رجل لخالد بن الوليد** ﷺ : **ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال خالد: ما أقل الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال،** والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العدد. "[2] كان فرسه قد حفي في مسيره، فتمنى رحمه الله لو كان فرسه معافى وأن العدو ضاعف عدده.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: عند تفسيره قول الله تعالى:﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ**﴾ [آل عمران: 123] "إن النصر ليس بالقوة والكثرة."[3]

يقول الأستاذ سيد قطب عند قول الله تعالى:﴿**وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ.لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبطِلَ البَاطِلَ وَلَو كَرِهَ المُجرِمُونَ**﴾ [الأنفال: 7-8]، يقول:" **لقد أراد الله أن تكون غزوة بدر ملحمة لا غنيمة، وأن تكون موقعة بين الحق والباطل، ليحق الحق ويثبته، ويبطل الباطل ويزهقه.** وأراد أن يقطع دابر الكافرين، فيقتل منهم من يقتل، ويؤسر منهم من يؤسر، وتذل كبرياؤهم، وتخضد شوكتهم،

---

(1) تفسير روح المعاني للآلوسي:(142/4) دار الفكر.

(2) تاريخ الطبري، بتصرف يسير.

(3) الدرر السنية:(207/3).

وتعلوا راية الإسلام، وتعلو معها كلمة الله، ويمكن الله للعصبة المسلمة التي تعيش بمنهج الله، وتنطلق به لتقرير ألوهية الله في الأرض، وتحطيم طاغوت الطواغيت. **وأراد أن يكون هذا التمكين عن استحقاق لا عن جزاف – تعالى الله عن الجزاف – وبالجهد والجهاد، وبتكاليف الجهاد ومعاناتها في عالم الواقع وفي ميدان القتال.**

نعم.. أراد الله للعصبة المسلمة أن تصبح أمة، وأن تصبح دولة، وأن يصبح لها قوة وسلطانا.. وأراد أن تقيس قوتها الحقيقية إلى قوة أعدائها. فترجح ببعض قوتها على قوة أعدائها! **وأن تعلم أن النصر ليس بالعدد وليس بالعدة**، وليس بالمال والخيل والزاد... **إنما هو بمقدار اتصال القلوب بقوة الله**[1] **التي لا تقف لها قوة العباد. وأن يكون هذا كله عن تجربة واقعية، لا عن مجرد تصور واعتقاد قلبي**"[2].

ثم يبين رحمه الله موازين النصر والهزيمة في عقيدة المسلم فيقول عن غزوة بدر: "كانت فرقانا بين تصورين لعوامل النصر وعوامل الهزيمة. فَجَرَت وكل عوامل النصر الظاهرية في صفِّ المشركين، وكل عوامل الهزيمة الظاهرية في صف العصبة المؤمنة، حتى لقال المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴿**غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُم**﴾ [الأنفال: 49]، وقد أراد الله أن تجري المعركة على هذا النحو **وهي المعركة الأولى بين الكثرة المشركة والقلة المؤمنة لتكون فرقانا بين تصورين وتقديرين لأسباب النصر وأسباب الهزيمة، ولتنتصر العقيدة القوية على الكثرة العددية وعلى الزاد**

(1) الأولى أن يقال اتصال القلوب بالله القوي، لأن قوة الله ليست هي الله، ولا يجوز الاستغاثة بقوة الله بل بالله القوي.

(2) في ظلال القرآن:(1481/9).

والعتاد، وأن أصحاب العقيدة الحقة عليهم أن يجاهدوا ويخوضوا غمار المعركة مع الباطل غير منتظرين حتى تتساوى القوى المادية الظاهرية لأنهم يملكون قوة أخرى ترجح الكفة، وأن هذا ليس كلاما يقال، إنما هو واقع متحقق للعيان".

وقال رحمه الله: "وإذْ إن الأمر كذلك، التدبير تدبير الله، والنصر من عند الله، والكثرة العددية ليست هي التي تكفل النصر، والعـدة المادية ليست هي التي تقرر مصير المعركة.. فليثبت الذين آمنوا إذن حين يلقون الذين كفروا، وليتزودوا بالعدة الحقيقية للمعركة، وليأخذوا بالأسباب الموصلة بصاحب التدبير والتقدير، وصاحب العون والمدد، وصاحب القوة والسلطان، وليتجنبوا أسباب الهزيمة التي هزمت الكفار على كثرة العدد وكثرة العدة، وليتجردوا من البطر والكبرياء والباطل، وليحترزوا من خداع الشيطان، الذي أهلك أولئك الكفار، وليتوكلوا على الله وحده فهو العزيز الحكيم"[1].

وقال رحمه الله في بيانه لثمرات غزوة بدر المباركة: " ذلك لتتزود العصبة المسلمة من هذه التجربة – غزوة بدر – الواقعية لمستقبلها كله، **ولتوقن كل عصبة مسلمة أنها تملك في كل زمان وفي كل مكان أن تغلب خصومها وأعداءها مهما تكن هي من القلة ويكن عدوها من الكثرة، ومهما تكن هي من ضعف العدة المادية ويكن عددها من الاستعداد والعتاد**"[2].

(1) المرجع السابق:(1527/10).
(2) المرجع السابق:(1481/9).

ويقول أيضا: " **فأما بدر** فقد مضت في التاريخ كله **قصة عقيدة**.. قصة نصر حاسم وفرقان بين الحق والباطل.. قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح المزودين بكل زاد، والحق في قلة من العدد، وضعف في الزاد والراحلة، **قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله، وحين تتخلص من ضعفها الذاتي، بل قصة انتصار حفنة من القلوب من بينها الكارهون للقتال! ولكنها ببقيتها الثابتة المستعلية على الواقع المادي، وبيقينها في حقيقة القوى وصحة موازينها قد انتصرت على نفسها وانتصرت على من فيها وخاضت المعركة والكفة راجحة رجحانا ظاهرا في جانب الباطل، فقلبت بيقينها ميزان الظاهر فإذا الحق راجح غالب**"[1].

ب – عوامل الهزيمة:

الذنوب والمعاصي:

إن ما يصيب المسلمين من بلاء وهزيمة هو إما بسبب تقصيرهم في الأخذ بالأسباب المتاحة لهم وإما بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، **فقد يتمادى بعض المجاهدين في استخدام رخصة الكذب في الحرب كما صح عن النبي ﷺ أنه"رخص من الكذب في ثلاث: في الحرب.."**[2] **فيقترف من الذنوب والمعاصي ما يكون سبباً في ميل نفسه لتلك القاذورات، وبالتالي تكون عاقبتها أن يوكلوا إلى أنفسهم فتحل بهم الهزيمة، لعدم التكافؤ في العدد والعدة.** وقد تكون الهزيمة لسبب التمايز بين المؤمنين

(1) في ظلال القرآن:(1482/9).

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني:رقم:(545).

والمنافقين كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ: أَنَّى هَذا؟ قُلْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا**﴾ [آل عمران: 165- 167] وقال سبحانه: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَت أَيدِيكُم وَيَعفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: 30] وقال: ﴿**وَلَولاَ أَن تُصِيبَهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَت أَيدِيهِم**﴾ [القصص: 47]، فالوجب على المسلم الحذر من الذنوب والمعاصي، إذ كيف يرجو الكرامة والنصر عاص لله مصر على معصيته؟!، فالله جل في علاه لا يحابي أحداً وهو الغني الحميد، فإذا كان الجندي المسلم متلبساً بمعصية الله فإن الخذلان سيكون أقرب إليه من النصر والإكرام.

يقول ابن القيم رحمه الله: "اقتضت حكمة الله[1] العزيز الحكيم أن يأكل الظالم الباغي ويتمتع في خفارة ذنوب المظلوم المبغي عليه، فذنوبه من أعظم أسباب الرحمة في حق ظالمه، كما أن المسئول إذا رد السائل فهو في خفارة كذبه، ولو صدق السائل لما أفلح من رده، وكذلك السارق وقاطع الطريق في خفارة منع أصحاب الأموال حقوق الله فيها ولو أدَّوْا مالله عليهم فيها لحفظها الله عليهم، وهذا أيضا باب عظيم من حكمة الله يطلع الناظر فيه على أسرار من أسرار التقدير وتسليط العالم بعضهم على بعض، وتمكين الجناة والبغاة، فسبحان من له في كل شيء حكمة بالغة وآية باهرة حتى إن الحيوانات العادية على الناس في أموالهم وأرزاقهم وأبدانهم تعيش في خفارة ما كسبت أيديهم، ولولا ذلك لم يسلط عليهم

(1) لا يجوز نسبة القضاء والمشيئة والإرادة لصفة من صفات الله، فحكمة الله لا تقضي ولكن يقال قضى الله الحكيم.

منها شيء.. ويحكى أن بعض أصحاب الماشية كان يشوب اللبن ويبيعه على أنه خالص، فأرسل الله عليه سيلا فذهب بالغنم، فجعل يعجب، فأتى في منامه، فقيل له أتعجب من أخذ السيل غنمك، إنه تلك القطرات التي شبت بها اللبن، اجتمعت وصارت سيلا، فقس على هذه الحكاية ما تراه في نفسك وفي غيرك. تعلم حينئذ أن الله قائم بالقسط وأنه قائم على كل نفس بما كسبت وأنه لا يظلم مثقال ذرة"[1]

التعلق بالأسباب:

إن تعلق القلب بإعداد الجنود وتجهيزهم، وبذل الأموال الطائلة لتأمين مستلزمات الحرب، وخلوه من استمداد النصر من الله القوي العزيز، سبب في انقطاع العون الرباني والمدد الرحماني، كما حدث للصحابة الكرام في غزوة حنين إذ عاتبهم ربهم على ذلك فقال لهم ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ**﴾ [التوبة: 25-26].

الركون للظالمين:

الإيواء والركون للظالمين مانع رئيس من موانع النصر، إذ الركون للظالمين يعني تعظيم الظالم الأثيم، وتوجه القلب إلى غير الله العظيم، وهذا من ضعف الإيمان، وشك في قدرة الرحمن، من أجل ذلك قال الله:﴿**وَلا**

(1) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية:(35/1).

تَرْكَنُوٓا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود: 113].

د – عوامل النصر:

إن الله وعد المؤمنين بالنصر فقال سبحانه:﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلاشْهَـٰدُ**﴾ [غافر: 51]، ولكن هذا الوعد مقيد و مشروط بفعل من العبد كما بينه الله بقوله ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: 7]، فالواجب على المسلمين أن ينصروا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ونصرة دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ ومن ذلك اصطحاب الصالحين من ضعاف المسلمين مع الجيش الاسلامي فإن النبي ﷺ يقول:"إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوهم وصلاهم واخلاصهم"[1].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:" قال الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَةً فَاثبُتُوا وَاذكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ.وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذهَبَ رِيحُكُم وَاصبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾[الأنفال: 45-46][2].

ثم سرد عوامل النصر فقال:

عوامل النصر الحقيقية:

(1) أخرجه النسائي في السنن الصغرى، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف: (3180).

(2) في ظلال القرآن:(1528/10-1529).

1- الثبات عند لقاء العدو فأثبت الفريقين أغلبهما.

2- الاتصال بالله بالذكر وهو الزاد الدائم للمجاهد.

3- الطاعة لله والرسول ﷺ ، فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة.

4- تجنب النزاع والشقاق.

5- الصبر على تكاليف المعركة، هذه الصفة التي لا بد منها لخوض المعركة.

6- الحذر من البطر والرئاء والبغي، يبقى هذا التعليم ليحمي العصبة المؤمنة من أن تخرج للقتال متبطرة طاغية تتعجب بقوتها، وتستخدم نعمة القوة التي أعطاها الله لها في غير ما أرادها"[1].

هـ جواز قيام المسلم بمهام قتالية وحده:

إنَّ عِلْمَ الجندي المسلم بقيام بعض أفراد الصحابة بأعمال قتالية وحدهم ضد مجموعات كثيرة العدد والعدة يغرس في قلبه الشجاعة والعزة والثقة بالنفس، وقد اشتهر ذلك بين الصحابة، وتناقله العلماء، وقد بوب الترمذي رحمه الله في جامعه باباً بعنوان "ما جاء في الرجل يبعث سرية وحده. وذكر فيه أن النبي بعث عبدالله بن حذافة السهمي في سرية وحده"[2] وأمر النبي ﷺ عبدُ الله بن أُنيس رضي الله عنه أن يذهب إلى منى لقتل خالد الهذلي الذي جمع الجموع لقتل النبي ﷺ فاستجاب عبدُالله بن أُنيس لأمر النبي ﷺ ولم يعتذر على الرغم من أن عدد أفراد جيش العدو عشرة

(1) المرجع السابق:(10/1528-1529).

(2) جامع الترمذي: رقم:(1672).

آلاف رجل، بل ذهب متوكلاً على الله مستعيناً به طائعاً لله والرسول فوفقه الله ونصره وتمكن من قتل عدو الله.[1]

وفي حادثة أخرى أقرَّ النبي ﷺ سلمة بن الأكوع رضي الله عنه حينما قاتل بمفرده سرية كاملةً من مشركي غطفان حينما أغاروا على لقاح -إبل- النبي ﷺ في أطراف المدينة، و لم يكن معه إلا أحد الحراس فأمره أن يذهب إلى المدينة ليخبر النبي ﷺ بما حدث ثم قام هو بمطاردة هذه السرية من بعد صلاة الفجر حتى غروب الشمس وكان المشركون مدججين بالسلاح ومعهم الزاد والراحلة وكان هو راجلا لا راحلة له فاسترجع كل ما أخذوه من لقاح النبي ﷺ ، في قصة مثيرة، يمكن الرجوع إليها والاستفادة منها[2]

و- الثقة بالله وحفظه لأوليائه:

إذا وثق العبد بربه، واطمأن لوعده، واستجاب لأمره، فإن الله يكون معه بنصره وحفظه وتوفيقه وإحسان العاقبة له، وهذا مقتضى ما وصف الله به نفسه، كما بين ذلك ابن رجب الحنبلي رحمه الله عند كلامه على معرفة الله لعبده فقال: "ومعرفة الله لعبده نوعان: معرفة عامة وهي علمه سبحانه بعباده، وإطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه .والثاني معرفة خاصة، وهي تقتضي محبته لعبده، وتقربه إليه، وإجابة دعائه، وإنجاءه من الشدائد، وهي المشار إليها بقوله ﷺ فيما يحكي عن ربه "ولا يزال عبدي يتقرب إليَ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره

(1) السيرة النبوية لابن هشام:ص:(649) دار ابن حزم.

(2) صحيح البخاري: رقم:(3041،4194)، كتاب المغازي، باب غزوة ذات قرد.

الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فلئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه [1]" وفي رواية " ولئن دعاني لأجيبنه""[2] وكذلك إذا حفظ العبد حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه فإن الله يحفظه ويحفظ له مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله عز وجل:﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِن بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ**﴾[الرعد:11]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هم الملائكة يحفظونه بأمر الله ، فإذا جاء القدر خلَوا عنه"؛ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح " اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وآمن روعتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي[3]". فمن ظنَّ به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ أو عطل حقائق ما وصف به نفسه ووصفه رسله ﷺ فقد أساء الأدب والظن بربه.

أمثلة على حفظ الله لمن حفظ حدوده:

صحابية تناشد ربها الوعد:

(1) تقدم تخريجه ص:(95).

(2) ذكرها ابن رجب في جامع العلوم والحكم:(473/1) و لم أجدها في الكتب الستة ولا في مسند الامام احمد.

(3) أخرجه أبو داود:(5074)؛ والنسائي:(282/2)؛ وابن ماجه:(3871) ط دار السلام؛ أخرجه الحافظ ابن حجر في هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة تخريج الألباني:(2334/2)، كتاب الدعوات، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م دار ابن القيم، دار ابن عفان. جامع العلوم والحكم:(466/1).

عن حميد بن هلال قال: "كان رجل من الطفاوة[1] طريقه علينا يأتي على الحي فيحدثهم قال: أتيت المدينة في عير لنا، فبعنا بضاعتنا ثم قلت لأنطلقن إلى هذا الرجل فلآتين من بعدي بخبره، قال: فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يريني بيتا قال: " إن امرأة كانت فيه فخرجت في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزا وصيصيتها[2] التي تنسج بها قال: ففقدت عنزا من غنمها وصيصيتها، قالت: يارب قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه وإني قد فقدت عنزا من غنمي وصيصيتي وإني أنشدك عنزي وصيصيتي، قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر شدة مناشدتها لربها تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ: "فأصبحت عنزها وصيصيتها ومثلها وهاتيك فأتها فاسألها إن شئت، قال: قلت: بل أصدقك". رواه أحمد باسناد رجاله رجال الصحيح"[3].

ز- حسن الظن بالله:

" أنا عند ظنِّ عبدي بي"[4] هكذا قال الله عن نفسه في الحديث القدسي، فمن ظن بالله خيراً فله الخير والبشرى، ومن ظن غير ذلك فله ما ظن، قال الشيخ عبدالله الغنيمان حفظه الله في شرح حديث " أنا عند ظن عبدي بي" " قال القرطبي في المفهم: ظن الإجابة عند الدعاء[5]، والقبول

---

(1) احدى القبائل.

(2) هي شوكة الحائك " السنارة" التي تنسج بها.

(3) مشارع الأشواق، ابن النحاس:(1/185-188)؛ مسند الامام احمد:(5/67) رقم:(20691)، دار الكتب العلمية؛ صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم:(2935).

(4) صحيح البخاري: رقم:(7405)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿ويحذركم الله نفسه﴾.

(5) لقول الله تعالى في الحديث القدسي:" أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني" صحيح الجامع للألباني رقم:(8136)

عند التوبة، والمغفرة عند الاستغفار، والإثابة على العمل، إيمانا بوعده تعالى، لما في الحديث "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة"[1]

يقول الشيخ عبدالله الغنيمان تعليقا على كلام القرطبي:"ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في العمل، موقناً بأن الله يقبله، ويغفر له لأنه وعد بذلك، وهو لا يخلف وعده. هذا إذا أتى بالعبادة بشروطها، فإن اعتقد أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس، وهو من كبائر الذنوب، وأما ظن المغفرة مع الإصرار على الذنوب فهو محض الجهل والغرور"[2] ثم قال حفظه الله في معنى الحديث: "والحديث معناه واضح..، وما ذكره صاحب المفهم من معناه، ووراء ذلك من معنى أدق وهو قرب الله من عبده المنيب إليه، وخير ما يفسر به كلام الرسول ﷺ كلامه، ولكن لا يعارض النصوص الكثيرة، المحذِّرة من عذاب الله تعالى، وعقابه فالأمر كما قال تعالى:﴿**نَبِّئ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ.وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ**﴾ [الحجر: 49-50].

وحُسن الظن يكون مع حسن العمل، وقد تشعر الإضافة في قوله " عبدي " بحسن العمل أي أنه عبدالله، وليس للشيطان أو للدنيا أو غيرها والله أعلم"[3].

(1) أخرجه الترمذي:(3616). والحاكم في المستدرك: رقم:(1853)، قال الحاكم :" هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري، وهو أحد زهاد أهل البصرة، و لم يخرجاه.."

(2) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان:(259/1).

(3) المصدر السابق:(261/1).

ثم قال حفظه الله في معنى" وأنا معه إذا ذكرني": "أي معه بالإجابة والتوفيق وبسماع كلامه وإثابته عليه إما بحسب ما قصد في ذكره، ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم، فهذه المعية، هي المعية الخاصة المذكورة في مثل قوله تعالى:﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ [طه: 46] وكقوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُحسِنُونَ**﴾ [النحل: 128] وكقوله:﴿**إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحزَن إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: 40] **ومقتضى هذه المعية النصر والتأييد والهداية والحماية**. وأما معيته العامة فهي للخلق كلهم، كما قال تعالى:﴿**مَا يَكُونُ مِن نَجوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُم وَلاَ خَمسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُم وَلاَ أَدنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُم أَينَ مَا كَانُوا**﴾[المجادلة:7] وكقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُم أَينَ مَا كُنتُم**﴾. ومقتضى هذه المعية اطلاعه تعالى وعلمه بكل شيء ومراقبته وشهوده أفعال عباده فتفيد الخوف منه تعالى"[1].

ح- الإعداد البدني:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"[2]

قال القاضي عياض رحمه الله: "قد تكون القوة هنا في المُنَّةُ[1] عزيمة النفس، فيكون أقدم على العدو في الجهاد وأشد عزيمة في تغيير المناكر والصبر على إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله"[2].

---

(1) المصدر السابق:(259/1).

(2) صحيح مسلم:(6774)، كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والاذعان له، مسند أحمد:(486/2)، رقم:(8812) دار الكتب العلمية؛ صحيح ابن حبان:(365/5).

ط – إتقان العمل:

لا بد للمسلم أن يكون على قَدرٍ عالٍ من تحمُّل المسؤولية والنباهة، فيأخذ من المهام ما يتوافق مع قُدراته وإمكاناته، وإن كُلِف بأمر فليستعن بالله ويتعلم المهارات اللازمة للقيامِ به على أكمل وجه، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ"(3). وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه " إن الله تعالى: يحب من العامل إذا عمل أن يحسن"(4)

وقد حثَّ النبي ﷺ على الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله تعالى فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"(5). فأمره بالحرص على الأسباب والاستعانة بالمسبِّب ونهاه عن العجز، وهو نوعان تقصير في الأسباب وعدم الحرص عليها وتقصير في الاستعانة بالله وترك تجريدها.

عن عوف بن مالك رضي الله عنه : "إن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فقضى على أحدهما فقال المقضي عليه: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال رسول الله ﷺ: "إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالْكَيْسِ ، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل "(6) قال شيخ الإسلام رحمه الله تعليقا على هذا

---

(1) المُنَّةُ بالضم تعني القوة، كذا في قاموس المحيط، باب الميم ص :(1113).

(2) إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم:(157/8).

(3) مجمع الزوائد:(175/4)؛ صححه الألباني في السلسلة رقم:(1113)، وفي صحيح الجامع رقم: (1880).

(4) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (1891).

(5) صحيح مسلم:رقم (6774)، مسند أحمد:(486/2)، رقم:(8812) دار الكتب العلمية؛ صحيح ابن حبان:(365/5).

(6) سنن أبي داود: رقم:(3627)، كتاب القضاء، باب الرجل يحلف على حقه.

الحديث: "فأمر النبي ﷺ المؤمن أن يحرص على ما ينفعه وأن يستعين بالله، وهذا مطابق لقوله تعالى:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: 5] وقوله:﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**﴾[هود:123] فإن الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته، إذ النافع له هو طاعة الله ولا شئ أنفع له من ذلك، وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وإن كان من جنس المباح"[1].

ي – الاستغفار والتوبة:

قال الله تعالى:﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ**﴾[هود:52] فالاستغفار والتوبة سبب لنيل القوة ونزول الرحمه وحلول البركة، عن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:"مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَمِنْ كلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ"[2].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " إنَّ من الذنوب ما يكون سبباً لخفاء العلم النافع أو بعضه؛ بل يكون سبباً لنسيان ما علم، ولاشتباه الحق بالباطل تقع الفتن بسبب ذلك." [3] فإذا كانت الذنوب سبباً لذهاب بعض العلم الذي تحفظه في نفسك التي بين جنبيك وأنت في أمن وأمان، فكيف يكون أثر الذنوب إذا تلاحمت الجيوش وتطايرت الأشلاء من أمامك ومن خلفك، فلا يثبت في مثل هذه المواطن إلا الصادقون الذين

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(31/10).

(2) أخرجه أبو داود: رقم:(1518)، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية:(160/14).

يتمنون الشهادة فيقول عندها "فزت ورب الكعبة[1]" أما المصرون على الذنوب فالله أعلم بمآلهم.

ك- التوكل على الله:

"إذا علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً"[2].

يقول ابن رجب رحمه الله:"من لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر، أن الكرب إذا أشتد وعظم وتناهى حصل للعبد الإياس من كشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي تُطلَبُ بها الحوائجُ فإن الله يكفي من توكَّلَ عليه،كما قال تعالى:﴿**وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسبُهُ**﴾ [الطلاق: 3]" [3].

عن جابر ﷺ قال: أقبلنا مع رسول اللّه ﷺ ، حتَّىٰ إذا كنَّا بذات الرِّقَاع، قال: كُنَّا إذا أتينا علىٰ شجرةٍ ظليلة تركناها لرسول اللّه ﷺ . قال فجاء رجلٌ من المشركين وسيفُ رسول اللّهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بشجرةٍ، فأخذَ سيفَ نبيِّ اللّه ﷺ فَاخْتَرَطَهُ[4]، فقال لرسُولِ اللّهِ ﷺ : أَتَخَافُني؟ قَالَ: "لاَ" قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: "الله يَمْنَعُني مِنْكَ" قَالَ فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَأَغْمَدَ السَّيْفَ وَعَلَّقَهُ..."[5].

---

(1) صحيح البخاري: رقم:(2801)، كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب أو يطعن في سبيل الله.

(2) مفتاح دار السعادة:(90/2)، طبعة دار الكتب العالمية.

(3) جامع العلوم والحكم:(493/2).

(4) أي سلَّه.

(5) صحيح مسلم: رقم:(1949)، كتاب لصلاة المسافرين، باب صلاة الخوف.

فاروق هذه الأمة يعلمُ جندَه التوكلَ على الله: "عن عياض الأشعري قال: شهدتُ اليرموك وعلينا خمسةُ أمراءِ أبو عُبيدة بن الجرَّاح، ويزيد بن أبي سفيان، وابن حَسَنة، وخالد بن الوليد، وعِياض. قال: وقال عمر: إذا كان عليكم قتال فعليكم أبو عبيدة، قال: فكتبنا إليه: إنَّه قد جَاشَ إلينا الموتُ، واستَمددناه، فكتب إلينا: **إنه قد جاءني كتابكم، تستمدّوني، وإني أدلكم على من هو أعزُّ نصراً وأحضرُ جنداً: الله عزَّ وجلَّ، فاستنصروه،** فإن محمداً ﷺ قد نُصِرَ يوم بدرٍ في أقل من عِدَّتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ، ولا تُرَاجعوني. قال: فقتلناهم وهزمناهم أربعةَ فراسخ."(1).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في صباح مناظرته للبطائحية في زمن التتار بعد أن استنصر ربه في تلك الليلة لمناظرتهم أمام الملأ: "**فلما أصبحنا ذهبت للميعاد وما أحببتُ أن أستصحبَ أحداً للإسعاد، لكن ذهب أيضا من كان حاضراً من الأصحاب، والله هو المسبِّب لجميع الأسباب**" (2). وذلك لثقته بربه وحسن ظنه به وتوكله عليه رحمه الله.

2- التهيئة العملية:

أ-الحذر من العدو وعدم الاستهانة به:

فإن الله تعالى أمرنا بأخذ الحذر من أعداء الدين، قال سبحانه:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً**﴾ [النساء:71]، وأكَّد علينا بقوله:﴿ **وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ**

(1) مجمع الزوائد:(315/6)، دار الفكر، وقال الهيثمي:رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.مسند أحمد:(60/1) رقم:(346).
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(52/15).

أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء:102] فهم حريصون على إشغالنا عن حقيقة عداوتهم لنا أو تغيير هذه الحقيقة بنفيها بألسنتهم كما قال سبحانه﴿**يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ**﴾[التوبة:8]. فالواجبُ علينا تصدِّيقُ قول الله فيهم والتعامل معهم على أساس هذه الحقيقة.

ب- إعداد العدة:

أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى[1] قال الله تعالى:﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيلِ تُرهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُم**﴾ [الأنفال:60].

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "المراد بالقوة في الآية أربعة أقوال: أحدها: أنها الرمي وقيل النبل، والثاني: ذكور الخيل، والثالث: السلاح، والرابع: **أنه كل ما يتقوى به على حرب العدو من آلة الجهاد**. ومعنى ترهبون أي تخيفون وترعبون به عدو الله وعدوكم وهم مشركو مكة وكفار العرب"[2].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " **فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد**، والنصُّ يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخص "رباط الخيل" لأنَّه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة.. ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيجدُّ مع الزمن لخاطبهم بمجهولات

(1) تفسير القرطبي:(35/8).

(2) تفسير زاد المسير:(284/3)، طبعة دار الكتب العلمية.

محيرة -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - والمهم هو عموم التوجيه. وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة:-

- أن تُؤَمِنَ الذين يختارون هذه العقيدة على حُريتهم في اختيارهـــا، فلا يُصدوا عنها، ولا يُفتنوا كذلك بعد اعتناقها.

- أن تُرهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتـــداء علـــى "دار الإسلام" التي تحميها تلك القوة.

- أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المدِّ الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها.

- أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخـــذ لنفـــسها صـــفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها، ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه"[1].

وقال رحمه الله في إعداد القوة: "فهي حدود الطاقة إلى أقصاها بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سببٍ من أسباب القوة يدخل في طاقتها"[2].

ج.اهتمام الجندي المسلم ببعض العبادات:

1- إخلاص القصد لله:

الواجب على الجندي المسلم أن يقاتل في سبيل الله، يبتغي بعمله الله والدار الآخرة، ومن قاتل لأي سبب آخر فهو في سبيل آخر غير سبيل الله فعن أبي موسى ﷺ قال: جاءَ رجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: الرجُـــلُ يُقاتـــلُ للمَغنم، والرجُلُ يُقاتلُ للذِّكر، والرَّجلُ يقاتلُ ليُرَى مكانهُ، فمَنْ في سبيلِ

(1) في ظلال القرآن:(1543/10).

(2) المرجع السابق:(1544/10).

الله؟ قال: "مَن قاتَلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا فهـو في سـبيلِ الله"[1].
المعونة من الله لمن قاتل في سبيل الله، فعن أبي هريرة ﷺ عـن الـنبي ﷺ قال: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف"[2].

2- تقوى الله:

وصية عمر بن الخطاب ﷺ ، لسعد بن أبي وقاص ﷺ ومن معه من الأجناد:

" أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله علـى كـل حال **فإن تقوى الله أفضل العدة علـى العـدو وأقـوى المكيـدة في الحرب**.وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم.

وإنما يُنصر المسلمون بمعصيةِ عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة وإلا نُنُصر عليهم بفـضلنا لم نغلبـهم بقوتنا.

واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلـون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولـوا إن عدونا شرٌّ منَّا فلن يُسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم قد سُلط عليهم شرَّ

(1) صحيح البخاري: رقم:(2810)، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.
(2) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق: رقم:(1658)؛ رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح؛ وابن حبان في صحيحه؛ والحاكم وقال صحيح علـى شرط مسلم.

منهم كما سُلط على بني إسرائيل لما عَمِلوا بمساخط الله كُفَّار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً.

واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم. أسأل الله ذلك لنا ولكم"[1].

3- الصدق:

قال الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[التوبة:119]، فمن صدق الله صدقه الله، يدل على ذلك قصة الفتى الذي اشتكى معاذ بن جبل ﷺ على تطويل الصلاة فقال النبي ﷺ: "يامعاذ! ادع فدعا، فقال للفتى: ادع، فقال: والله لا أدري ما دندنتكما هذه، غير أني والله لئن لقيت العدو لأصدُقنَّ الله. فلقي العدو، فاستشهد فقال النبي ﷺ :"**صَدَقَ الله فصدقَهُ الله**"[2].

فتحقيق الصدق في قلب العبد له أثرُ الفعلِ وإن لم يقمْ صاحبه بالفعل، قال النبي ﷺ في بيان فضل الصدق وأثره:" من سأل الله الشهادة بصدق من قلبه، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه"[3] وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "إن النيةَ الخالصة والهمةَ الصادقة ينصر الله بها وإن لم يقع الفعل وإن تباعدت الديار"[4] وقال رحمه الله: " قال يوسف بن أسباط: ما صدق الله عبد إلا صنع له. وقال الإمام أحمد بن حنبل: لو وضع الصدق على جرح لبرأ"[5]. وعن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها

---

(1) العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي،دار احياء التراث العربي.

(2) مصنف عبدالرزاق الصنعاني:(362/2)، دار الفكر. كنز العمال:(1628/1)، رقم:(22927).

(3) المرجع السابق: رقم:(2797)، كتاب الجهاد، باب القتال في سبيل الله.صحيح الجامع رقم:(6276،6277،6381)

(4) مجموع فتاوى ابن تيمية:(463/28).

(5) المرجع السابق:(311/11).

الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، قال: لَمَّا تُوُفِّي القاسِمُ بن رسول اللَّه ﷺ قالت خديجةُ: يا رسولَ اللَّه دَرَّتْ لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ. فَلَوْ كَانَ اللَّهُ أَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِضَاعَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ إِتْمَامَ رَضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ" قَالَتْ: لَوْ أَعْلَمُ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُوِّنَ عَلَيَّ أَمْرُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى فَأَسْمَعَكِ صَوْتَهُ" **قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أُصَدِّقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.** [1]، هذا من فقهها رضي الله عنها، كرهت أن تؤمن بهذا الأمر معاينة فلا يكون لها أجر التصديق والإيمان بالغيب، وإنما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب.

4- العدل وعدم البغي:

أمرَ اللهُ عز وجل بالعدلِ وحرم الظلم على نفسه وجعله بيننا محرماً، وكثيراً ما يقع الإنسان في الظلم في حال القصاص ممن ظلمه فقال سبحانه:﴿**وَلاَ يَجرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَومٍ عَلَى أَلاَّ تَعدِلُوا اعدِلُوا هُوَ أَقرَبُ لِلتَّقوَى**﴾ [المائدة: 8]، وقد يقع في الظلم والبغي بعض المجاهدين كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله:" والقتال كثيراً ما يُقَاتِل فيه الإنسان لغير الله، كالذي يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، فهذا كله ذنوب، **والذي يقاتل لله قد يُسرف فيقتل من لا يستحق القتل، ويعاقب الكفار بأشد مما أمر به،** قال الله تعالى: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظلُومًا فَقَد**

(1) سنن ابن ماجه:(1512) طبعة دار السلام.

جَعَلنَـــا لِوَلِيِّـــهِ سُـــلطَانًا فَـــلاَ يُـــسرِف فِـــي القَتـــلِ إِنَّـــهُ كَـــانَ مَنصُورًا﴾[الاسراء:33][1].

5- أثر التهليل والتكبير والتسبيح في فتح المدن والحصون:

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" سمعتم بمدينة جانب منـــها في البر، وجانب منه في البحر؟" قالوا: نعم يا رسول الله. قـــال:" لا تقـــوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني اسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلـــم يقاتلوا بسلاح و لم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيـــسقط أحد جانبيها(قال ثور: لا أعلمه إلا قال) الذي في البحر، ثم يقـــول في الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر،فَيُفَرَّجُ لهم، فيدخلوها فيغنمون، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كـــلَّ شـــيء ويرجعون"[2].

عن كثير بن عبد اللَّه بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جـــده ﷺ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ : "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ أَدْنَـــىٰ مَـــسَالِحِ الْمُسْلِمِينَ بِبَوْلاَءَ". ثُمَّ قَالَ: "يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ" قَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي قَالَ: "إِنَّكُمْ سَتُقَاتِلُونَ بَنِي الأَصْفَرِ وَيُقَاتِلُهُمُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ رُوقَةُ الإِسْلاَمِ، أَهْلُ الْحِجَازِ. الَّذِينَ لاَ يَخَافُونَ فِي اللَّـــهِ لَوْمَـــةَ لاَئِـــمٍ. فَيَفْتَـــتِحُونَ الْقُسْطُنْطِينِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ. فَيُصِيبُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُـــصِيبُوا

---

(1) المرجع السابق:(694/11).

(2) مختصر صحيح مسلم: رقم:(2014)، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تغزى مدينة جانبها في البحر والآخـــر في الـــبر، طبعة المكتب الاسلامي، تحقيق الألباني، الطبعة السادسة، 1407هـــ بيروت. (م188/8).

مِثْلَهَا. حَتَّى يَقْتَسِمُوا بِالأَتْرِسَةِ. وَيَأْتِي آتٍ فَيَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَرَجَ فِي بِلاَدِكُمْ. أَلاَ وَهِيَ كِذْبَةٌ. فَالآخِذُ نَادِمٌ، وَالتَّارِكُ نَادِمٌ"[1].

6- أثر "الحوقلة" في تذليل الصعاب ودكّ الحصون:

على الجندي المسلم في حال الإقدام على العدو أن يكون متوكلاً على الله متبرأً من حوله وقوته، ملتجئاً بصاحب الحول والقوة، يقول بلسان الحالِ والمقال، لا حول ولا قوّة إلا بالله، مستسلماً لربه مفوضاً الأمر إليه.

لا حول ولا قوة إلا بالله هي الملتجأ وقت الافتقار إلى الأسباب، وهي الكتر المليء بالعدة والعتاد، فبها تُحمل الأثقال، وبها تُفك الأقفال، كيف لا وهي كتر من كنوز الجنة، فعن أبي موسى الأشعريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يا عبدَالله بن قيس ألا أعلمك كلمة هي من كنوزِ الجنة؟: لا حَولَ ولا قوةَ إلاّ بالله"[2].

سعد بن ابي وقاص ﷺ يوصي جنده بها:

قال ﷺ لجنده قبل الاقتحام: "الزموا مواقفكم لا تحركوا شيئاً حتى تُصَلّوا الظهر فإذا صليتم الظهر فإني مكبرٌ تكبيرة، فكبروا واستعدوا. واعلموا أن التكبيرَ لم يعطه أحد قبلكم واعلموا أنما أعطيتموه تأييداً لكم. ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا ولتستتم عُدتكم ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله!" [3].

---

(1) سنن بن ماجه: رقم:(4094)، كتاب الفتن، باب الملاحم، طبعة دار السلام.

(2) صحيح البخاري: رقم:(6610)، كتاب القدر، لا حول ولا قوة إلا بالله.

(3) تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية.

انصداع حصن العدو بقول لا حول ولا قوة الا بالله:

عن أبي يحي إسحاق العدواني، قال: "كنا في آزر مهر – مكان ما – عند مدينة الكرج احدى مدن السند، وقد زحف إلينا العدوُّ في ثمانين فيلا، فكادت تنقض الصفوف، وتشتت الخيول، وكان أميرنا محمد بن القاسم، فنادى عمران ابن النعمان أمير أهل حمص، وأمراء الأجناد، فنهضوا، فما استطاعوا، فلما أعيته الأمور، نادى مرارا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فكشف الله الفيلة، وسلط عليها الحرَّ، فأنضحها- عرقت-، ففزعت إلى الماء، فما استطاع سُوَّاسها ولا أصحابها حبسها، وحملت خيلنا وكان الفتح بإذن الله."

"وإن حبيب بن مسلمة كان يستحب إذا لقي العدو، أو ناهض حصناً، أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم إنه ناهض يوماً حصنا، فانهزم الروم، وتحصنوا في حصن آخر لهم أعجزه، فقالها، فانصدع الحصن" [1]

د.أعمال لا بد منها:

1– المحافظة على صحة القلب بالإيمان:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل وهو ما يورث القلب إيمانا من العلم النافع والعمل الصالح فتلك أغذية له كما في حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعا وموقوفا " إن كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته، وإن مأدبة الله هي القرآن " والآدب المضيف، فهو ضيافة الله لعبده... مثل آخر الليل وأوقات الأذان والإقامة وفي سجوده

(1) الفرج بعد الشدة:(1/273-274).

وفي أدبار الصلوات ويضم إلى ذلك الاستغفار فإنه من استغفر الله ثم تاب إليه متعه متاعاً حسناً إلى أجل مسمى. وليتخذ ورداً من الأذكار في النهار ووقت النوم **وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروح منه، ويكتب الإيمان في قلبه**. وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس باطنة وظاهرة فإنها عمود الدين **وليكن هجيراه لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها بها تحمل الأثقال وتكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال**. ولا يسأم من الدعاء والطلب، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل، فيقول: قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي، وليعلم أن النصر مع الصبر[1]، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، و لم ينل أحد شيئا من ختم الخير نبي فمن دونه إلا بالصبر"[2].

2- الاستخارة:

ينبغي للعبد أن يستخير الرحمن قبل إقدامه على الأمور العظيمة، التي تخفي عليه عواقبها والآثار المترتبة عليها، فعن جابر ﷺ قال: "كان النبيُّ ﷺ يُعلِّمنا الاستِخارةَ في الأمور كلِّها كالسُّورةِ منَ القرآن: "إذا همَّ أحدُكم بالأمر فلْيَركعْ ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: اللهمَّ إني أستَخيرُكَ بعلمك، وأستَقدِرك بقدرتك، وأسألكَ من فضلكَ العظيم، فإنكَ تَقدِرُ ولا أقدِر، وتعلمُ ولا أعلم، وأنتَ علامُ الغيوب. اللهمَّ إن كنت تعلم أنَّ هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومَعاشي وعاقبةِ أمري ــ أو قال: في عاجلِ أمرِي وآجلهِ ــ فاقدُرْه لي. وإن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمرَ

---

(1) قال النبي ﷺ :" النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا، وإن مع العسر يسرا" سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: رقم:(2382)، وصحيح الجامع رقم :(6806).

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(136/10-137).

شرٌ لي في دِيني ومعاشي وعاقبة أمري ـــ أو قال: في عاجلِ أمري وآجله ـــ فاصرِفْه عني واصرفْني عنه، واقدُر لي الخير حيثُ كان ثمَّ رضِّني بـــه. ويُسمي حاجَته"[1].

شيخ الإسلام ابن تيمية يستخير الله في دخول النار:

ذاع حديث فرقة تدعى "البطائحية"[2] وهي من الفـــرق المنتـــسبة للزهد والتصوف، ويوجد في بعضهم تعبد وتأله، ووجد ومحبـــة، ولـــين جانب وملاطفة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف.. ونحو ذلك كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عنهم، وهي من فرق الضلالة التي لبَّست على الناس دينها، وافتتنَ بها كثير من العامة بسبب زعمهم أن لهم كرامات ليس لغيرهم! منها ملابستهم للنار والحيات، وإظهار الـــدم والزعفران وماء الورد والعسل والسكر.. يقول شيخ الإسلام : "وإن عامة ذلك- كراماتهم المزعومة- عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة"[3] وكان لهؤلاء القوم منزلة ومكانة عند أمير بلادهم، وكان شيخ الإسلام شديد الانكار عليهم، ويُحذر العامة والخاصة من ضلالاتهم، فألَّبوا الأمير عليـــه وزينوا له أن يأمر شيخ الإسلام بالكفِّ عنهم، وأن يُسْلِم لهم حالهم، فأبى شيخ الإسلام ذلك، وقال:"هذا ما يمكن. **لا بد لكلِّ أحدٍ أن يدخل تحت الكتاب والسنة قولاً وفعلاً، ومنْ خرج عنهما وجبَ الإنكار عليه**"[4]. عندها طالبوا بمناظرة عامة بينهم وبين شيخ الإسلام بحضرة الأمير، فاقتنع الأمير بذلك ودار بينه وبين شيخ الإسلام حوار، ردَّ فيه رحمه الله علـــى

(1) صحيح البخاري: رقم:(6382)، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة.
(2) للإطلاع على كامل قصة شيخ الإسلام مع هذه الفرقة، انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية:(445/11).
(3) مجموع فتاوى ابن تيمية:(447/11).
(4) البداية والنهاية:(38/14)،دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، 1408هـ 1988م.

الأمير عندما قال له إن البطائحية يقولون إنك طلبت منهم الإمتحان فقال رحمه الله: "أنا ما امتحنت هؤلاء لكن هم يزعمون أن لهم أحوالاً يدخلون بها النار وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك، ويقولون لنا هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع ليس لهم أن يعترضوا علينا، بل يسلم إلينا ما نحن عليه سواء وافق الشرع أو خالفه. **فأنا استخرتُ الله سبحانه أنهم إن دخلوا النار أدخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله وكان مغلوبا**، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار، فقال الأمير ولم ذاك؟ قلت: لأنهم يطلون جسومهم بأدوية يصفونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلعة وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم، وأنا لا أطلي جلدي بشيء فإذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق، فاستعظم الأمير هجومي على النار، وقال: أتفعل ذلك؟ ! فقلت له: نعم! قد استخرتُ الله في ذلك **وأُلقي في قلبي أن افعل، ونحن لا نرى هذا وأمثاله ابتداءً، فإن خوارق العادات إنما تكون لأمة محمد ﷺ المتبعين له باطناً وظاهراً لحجة أو حاجة، فالحجة لإقامة دين الله، والحاجة لما لا بد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله**، وهؤلاء إذا أظهروا ما يسمونه إشاراتهم وبراهينهم التي يزعمون أنها تبطل دين الله وشرعه وجب علينا أن ننصر الله ورسوله ﷺ ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما نقدر عليه من أرواحنا وجسومنا وأموالنا، فلنا حينئذٍ أن نعارض ما يظهرونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات"[1].

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(459/11-460).

ثم قال رحمه الله: "**فاستخرتُ الله تعالى تلك الليلة واستعنته واستنصرته واستهديته وسلكتُ سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك، حتى أُلقي في قلبي أن أدخلَ النار عند الحاجةِ إلى ذلك، وإنما تكون برداً وسلاماً على من اتبع ملة الخليل، وأنها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن هذه السبيل**"[1].

3- أهمية ملاحظة ما يلقى في القلب لا سيما بعد الاستخارة:

على العبد المستخير الإكثار من الصلاة و الدعاء والتضرع وسؤال الله عز وجل أن يجعل له علامةً وفرقاناً في أمره، وعليه ملاحظة ما يُلقيه الله في قلبه من الإقدام أو الإحجام. ولا ضيرَ في ذلك فإن أباسعيد الخدري ﷺ عندما رقى سيد الحي بفاتحة الكتاب وأخذوا جعلهم، أخبروا النبي ﷺ بما حدَثَ فقال له النبي ﷺ :"وما يُدريك أنها رقية"، فقال أبو سعيد ﷺ : يا رسول الله **شيء أُلقي في رُوعي** قال :"فكلوا وأطعمونا من الغنم"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكما أخبر الله أن الملائكة توحي إلى البشر ما توحيه، وإن كان البشر لا يشعر بأنه من الملك كما لا يشعر بالشيطان الموسوس"[3]. وقال رحمه الله: "وقد أخبر أنه – أي القرآن –

(1) المرجع السابق:(455/11).
(2) سنن الدارقطني:(54/3)، دار الكتب العلمية.
(3) مجموع فتاوى ابن تيمية:(530/17).

روح تحيا به القلوب فقال: ﴿**وَكَــذَلِكَ أَوْحَيْنَــا إِلَيْــكَ رُوحًــا مِّــنْ أَمْرِنَا...**﴾[الشورى:52]، وإذا كان ما يوحيه إلى عباده تــارة يكــون بواسطة[1] ملك، وتارة بغير واسطة **فهذا للمؤمنين كلهم مطلقاً لا يختص به الأنبياء،** قال تعالى:﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾[القصص:7] وقال:﴿**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ**﴾ [المائدة: 111]، وإذا كــان قــد قال:﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ [النحل: 68] فذكر أنه يوحي إليهم، فالى الإنسان أولى وقال:﴿**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا**﴾[فصلت: 12] وقال:﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[الشمس: 7-8] فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى للنفس، والفجور يكــون بواســطة الشيطان، وهو الهام وسواس، والتقوى بواسطة ملك، وهو إلهام وحــي، هذا أمر بالفجور وهذا أمر بالتقوى، والأمر لا بد أن يقترن به خبر"[2].

يقول الشاطبي رحمه الله:" إذا ثبت أن خوارق العادات بالنــسبة إلى الأنبياء والأولياء كالعادات بالنسبة إلينا، فكما لو دلنا أمر عــادي علــى نجاسة الماء أو غصبه لوجب علينا الاجتناب، فكذلك هنا، إذ لا فرق بين إخبار من عالم الغيب أو من عالم الشهادة، كما أنه لا فرق بــين رؤيــا البصر لوقوع النجاسة في الماء، ورؤيتها بعين الكشف الغيبي. فلابــد أن يبنى الحكم على هذا كما يبنى على ذلك. ومن فرق بينهما فقد أبعد"[3]

فينبغي على العبد المؤمن أن يكون كيِّساً فطناً، يلْحَظْ ويتأمل، فــالله عز وجل علَّم ابن آدم الأول عن طريق غراب فقال:﴿ **فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًــا**

(1) هكذا في الأصل في أكثر من موضع ولعل الصواب "بوساطة" .
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(17/528-529).
(3) الموافقات للشاطبي:(2/269).

يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾[المائدة: 31] فتأمل!
وقد ترى رؤيا في المنام[1] تَدُلُك على أرشد أمرك، كما قال الله تعالى:﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ " قال النبي ﷺ :"بشرى الدنيا الرؤيا الصالحة"[2].والرؤيا عند اقتراب الزمان لاتكاد تخطئ، وذلك لبعد العهد بالنبوة، فيتعوض المؤمنون بالرؤيا.

وقد قال عثمان بن عفان ﷺ :" إني رأيتُ رسول الله ﷺ البارحة في المنام ورأيت أبابكر وعمر رضي الله عنهما، **وإنهم قالوا لي: اصبر**، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فَنَشَره بين يديه، فقُتل وهو بين يديه"[3].

وفي احدى معارك سعد بن أبي وقاص ﷺ حال بينهم وبين عدوهم نهر دجلة العظيم، فهاب سعد أن يقطع النهر بجنده وطال الحصار، فرأى رؤيا أنّ خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت، وقد أقبلت من المدِّ بأمر عظيم، فعزم لتأويل رؤياه على العبور، فجمع سعد الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال:" إنَّ عدوَّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فَيُنَاوشُونَكُم في سفنهم، وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه، فقد كفاكموهم أهل الأيام، وعطّلوا ثغورهم وأفنوا ذادتهم، وقد رأيت من الرأى أن تبادروا جهاد العدوِّ بنِّياتكم قبل أن تحصركم الدُّنيا. ألا إنِّي قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعا: عزمَ اللهُ لنا ولك على الرُّشد فافعل"... ولما رأى تجهُّز الجيش

---

(1) انظر كلام ابن تيمية في "مجال السمع والرؤيا والعلم" ص:(109).
(2) صحيح الجامع للألباني رقم (2822) وانظر ص: (110).
(3) مسند الامام احمد:(90/1) رقم:(528).

للعبور أمرهم سعد أن يقولوا: "نستعين بالله ونتوكَّل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة إلا بالله العليُّ العظيم! وتلاحق عظم الجند فركبوا اللُّجَّة وإنَّ دجلة لترمى بالزَّبد وإنها لمسودة إنّ الناس ليتحدَّثون في عومهم وقد اقتربوا ما يكترثون كما يتحدَّثون في مسيرهم على الأرض ففجئوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم فأجهضوهم وأعجلوهم عن جمهور أموالهم ودخلها المسلمون في صفر سنة ست عشرة واستولوا على ذلك كُلِّه مما بقى في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف ومما جمع شيرى ومن بعده"[1].

(1) تاريخ الطبري. فتوح الشام:(200/1)، للواقدي، دار الكتب العلمية.

الفصل الثاني
إمكانية عدم وقوع الاحتجاب:

عن عبد اللّه بن عمرو ﷺ ، قال: قال رسول اللّه ﷺ :" مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ إِلاَّ كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ. وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تخْفِقُ وَتُصَابُ إِلاَّ تَمَّ أُجُورُهُمْ"[1].

الإبتلاء سنة ربانية، فالواجب على العبد إذا قَدَّر اللهُ عليه و لم يقع الاحتجاب، أن يكون من الصابرين ولا يجزع، بل يجب عليه التضرع إلى الله والدعاء بأن يُفرِّج الله همَّه وينفس كربه، وليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالإنسان إذا أصابته المصائب بذنوبه وخطاياه كان هو الظالم لنفسه، فإذا تاب واستغفر جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، والذنوب مثل أكل السُّم، فهو إذا أكلَ السم مرض أو مات فهو الذي يمرض ويتألم ويتعذب ويموت، والله خالق ذلك كله، وإنما مرض بسبب أكله، وهو الذي ظلم نفسه بأكل السم. فإن شرب الترياق النافع عافاه الله، **فالذنوب كأكل السم، والترياق النافع كالتوبة النافعة**، والعبد فقير إلى الله تعالى في كل حال، فهو بفضله ورحمته يلهمه التوبة، فإذا تاب تاب عليه، فإذا سأله العبد ودعاه استجاب دعاءه. كما قال:﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ**

(1) صحيح مسلم رقم:(4926)، كتاب الإمارة، باب بيان من غزا فغنم ومن لم يغنم دار السلام.صحيح الجامع رقم:(5746)

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِـــي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]" [1].

قال رجل لعلي بن أبي طالب ﷺ إنَّ نفراً من مراد يريدون قتلـــك، فقال: إنَّ مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، إنَّ الأجل جُنَّة حصينة... ﴿**وَهُوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ وَيُرسِـــلُ عَلَيكُم حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُم المَوتُ تَوَفَّتـــهُ رُسُـــلُنَا وَهُـــم لاَ يُفَرِّطُون**﴾ [الأنعام: 61]" [2].

عواقب مكروه الأمور خيار وأيـــام سوء لا تدوم قصار
وليس بباق بؤسها ونعيمها إذا كر ليـــل ثم كر نـــهار

من أعمال الأسير:

أ) الإكثار من قول لا حول ولا قوة إلا بالله:

عن محمد بن إسحاق قال: جاء مالك الأشجعي ﷺ إلى الـــنبي ﷺ فقال أُسر ابني عوف، فقال له ﷺ : "أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله" ، فأتاه الرسول فأخبره ، **فأكبَّ عوف يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله**، وكانوا قد شدُّوه بالقدِّ فـــسقط القدُ عنه، فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها، فأقبل فإذا هو بسرح القـــوم الذين كانوا شدوه، فصاح بهم فاتبع آخرها أولها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف وربِ الكعبة، فقالت أمه: واســـوأتاه، وعوف كئيب يألم ماهو فيه من الْقِدِّ ، فاستبق الأب والخادم إليه، فـــإذا

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(240/8).
(2) البداية والنهاية:(49/1)؛ عالم الملائكة الأبرار: ص:(40).

عوف قد ملأ الفناء إبلا فقص على أبيه أمره وأمر الإبل، فأتى أبوه رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ: "اصنع بها ما أحببت، وما كنت صانعا بإبلك" ونزل:﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَهُ مَخرَجًا.وَيَرزُقهُ مِن حَيثُ لاَ يَحتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسبُهُ**﴾ [الطلاق 2ـ3] [1].

ب) انتظار الفرج عبادة:

على الأسير أن يصلح ما بينه وبين ربه ما استطاع، فإن انتظار الفرج عبادة كما قالَ رَسُولُ الله ﷺ: " سَلُوا الله مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ الله عز وجلّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ **وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ**" [2] وابشر بالحياة الطيبة وإن كنت خلف القضبان حتى يأتي فرج الله، فإن الله وعد والله لا يخلف الميعاد فقال قول صدق:﴿**مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[النحل:97]، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: "فهذا خبر أصدق الصادقين ومخبره عند أهله عين اليقين، بل هو حق اليقين ولا بد لكل من عمل صالحا أن يحييه الله حياة طيبة بحسب إيمانه وعمله، ولكن يغلط الجفاة الأجلاف في مسمى الحياة حيث يظنونها التنعم في أنواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح أو لذة الرياسة والمال وقهر الأعداء والتفنن بأنواع الشهوات، ولا ريب أن هذه لذّة مشتركة بين البهائم بل قد يكون حظ كثير من البهائم منها أكثر من حظ الإنسان

(1) جامع العلوم والحكم:(493/1)؛ الترغيب والترهيب:(292/2)، دار الكتب العلمية.

(2) أخرجه الترمذي: رقم:(3714)، باب في انتظار الفرج.

فمن لم تكن عنده لذة إلا اللذة التي تشاركه فيهـــا الـــسباع والـــدواب والأنعام فذلك ممن ينادى عليه من مكان بعيد ولكن **أين هذه اللَّذة مـــن اللذة بأمر إذا خالط بشاشته القلوب ســـلى عـــن الأبنـــاء والنـــساء والأوطان والأموال والإخوان والمساكن ورضي بتركها كلها والخروج منها رأسا وعرَض نفسه لأنواع المكاره والمشاق وهـــو متحـــل بهـــذا منشرح الصدر به ، يطيب له قتل ابنه وأبيه وصاحبته وأخيه لا تأخذه في ذلك لومة لائم** حتى إن أحدهم ليتلقى الرمح بصدره ويقول فـــزت ورب الكعبة[1] ويستطيل الآخر حياته حتى يلقي قوته من يده ويقول إنها لحياة طويلة إن صبرت حتى آكلها ثم يتقدم إلى الموت فرحاً مسرورا"[2].

ج) كيف تتحمل آلآم التعذيب :

إن العذاب أمر مكروه تنفر منه النفوس، ولا طاقة لبشر على تحمُّـــل العذاب الشديد إلا إذا كان أحد ممن اتصف بإحدى هاتين الصفتين:-

الصفة الأولى: أن يكون ذاقَ حلاوة الإيمان

فعن أنس بن مالك ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قال:" ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمان: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ".

(1) إشارة لحديث النبي ﷺ في صحيح البخاري: رقم:(2801)، كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب أو يطعن في سبيل الله.
(2) مفتاح دار السعادة:(35/1).

إن حلاوة الإيمان إذا دخلت قلباً لا يزاحمها فيه شي أبداً، فتجد الرجل يرضى أن يلقى في النار ولا يتراجع عن دينه ومبدئه أبدا. فهي الزادُ الحقيقي لتحمُّل المشاق والمكروهات في مرضاة الله ورسوله ﷺ .

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: إنَّما عبَّر بالحلاوةِ لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى:﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَة**﴾[ابراهيم:24]، فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها.

بلال بن رباح رضي الله عنه :

وممن ذاق حلاوة الإيمان فتحمل العذاب الشديد: بلال بن رباح رضي الله عنه فقد كان أمية بن خلف يذيقه أصنافا من العذاب الشديد، ومن ذلك أن يجعل في عنقه حبلاً يدفع به إلى الصبيان فيلعبون به ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: "أحد، أحد" يثبت نفسه بها على دينه ومبدئه في زمن الغربة، ويغيظ بها أعداءه الظلمة. فما كان من أمية بن خلف إلا أن زاده من العذاب، فكان يخرجه إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه يوماً وليلة فيطرحه على ظهره في الرمضاء إذا اشتدَّت حرارتها، لو وُضعت عليها قطعة لحم لنضجت، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له لا تزال هكذا، حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول في ثبات: "أحد أحد":

وعندما سئل رضي الله عنه كيف كنت تطيق تحمل هذا العذاب الشديد في رمضاء مكة فقال قولته الشهيرة:"خلطت مرارة العذاب بحلاوة الإيمان

فأنستني حلاوة الإيمان مرارة العذاب". وقد أعاد استخدام هذه الخلطة العجيبة عند موته حينما قالت زوجته: وا كرباه، فقال: بل واطرباه! غداً نلقى الأحبه محمداً وحزبه، فمزج مرارة الموت والفراق بحلاوة لقاء الأحبة[1].

فمتى ما خالط القلب بشاشة الإيمان وذاق طعمه وتلذذ بحلاوته، شغله ذلك عن جميع المحسوسات، لاستغراق القلب في السعادة الحقيقية، فإذا تألم كان الألم في المستوى المقدور على تحمله[2].

الصفة الثانية: تحقيق اليقين

ومما يُعين الرجل على تحمَّل العذاب الشديد، اليقين بالله ووعده ووعيده، وإن لم يجد حلاوة الإيمان[3]. يقول النبي ﷺ :" نجا أوَّل هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل"[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اليقين: هو طمأنينة القلب، واستقرار العلم فيه، وهو [معنى] ما يقولون: "ماء يقن" إذا استقر عن الحركة. [وطمأنينة القلب هي أن يسكن فكره في الشيء المعتقَد[5]] وضد اليقين الريب. وهو نوع من الحركة والإضطراب..وفي الحديث المشهور الذي رواه أبو بكر عن النبي ﷺ أنه قال: "سلوا الله اليقين والعافية، فما أعطى أحد بعد اليقين شيئاً خيراً من العافية، فسلوهما الله[6]" **فأهل اليقين**

(1) السيرة الحلبية :(456/1)، عبدالله الخفاجي، دار المعرفة.بتصرف يسير.

(2) مصداقا لهذا انظر ص:(185) من هذا الكتاب.سيرة البطل" ابن النابلسي"

(3) قال ابن ابي جمرة :"ظاهر الحديث يدل على أن الإيمان على قسمين بحلاوة وبغير حلاوة" بهجة النفوس:(25/1).

(4) صحيح الجامع للألباني:(6746) المشكاة:(5281).

(5) ما بين المعقوفتين من كلام القرطبي، تفسير القرطبي:(297/3)، دار الكتب العلمية.

(6) كنز العمال:(518/1)، رقم:(7336) بلفظ:"سلوا الله اليقين والعافية" .

إذا ابتلوا ثبتوا؛ بخلاف غيرهم فإن الإبتلاء قد يذهب إيمانه أو ينقصه. قال تعالى:﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: 24] ألا ترى إلى قوله تعالى:﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: 173]. فهذه حال هؤلاء. وقال تعالى:﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا.هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا**﴾ [الأحزاب: 9 ــ 12] [1].

وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء:

أحدها : تدبر القرآن.

والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآيات التي تبين أنه حق.

والثالث: العمل بموجب العلم، قال تعالى: ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: 35]، والضمير عائد على القرآن. كما قال تعالى:﴿**قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ [فصلت: 52-53].[2]"

فالعلم التام والبصيرة الكاملة بأصول الدين، تورث النفس عظم الهمة، فلا تبالِ بعد ذلك بالسعادة الدنيوية والشقاوة البدنية والآلام

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(3/329-330).

(2) المرجع السابق:(3/329-330).

الحسية، في جنب السعادة الأخروية، فكل من استقر اليقين في قلبه، وتعرض للمساومة في دينه ومعتقده، تجده ثابتاً راسخاً مستمسكاً بدينه، مستخفاً بطغاةِ عصره، غير مُبالٍ بعاقبة فعلهم به، يدل على ذلك:

قصة سحرة فرعون:

كان السحرة هم الذين يساومون فرعون على الملذات الدنيوية المحسوسة، التي تشغل أصحاب القلوب الخاوية في كل زمان، قال الله تعالى:﴿**وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ** ﴾ [الأعراف: 113-114]، وبعد لحظات رأوا الآية الكبرى فباشر الإيمان واليقين قلوبهم، فآمنوا برب هارون وموسى، فتوعدهم عدُّو الله فرعون بالعذاب والتنكيل، فقالوا:﴿**لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ. إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ**﴾[طه:72]، فقد أصبحوا كفاراً فجرة، وأمسوا شهداء بررة، كانت قلوبهم خاوية من الإيمان واليقين، وفي ساعة من نهار، دخل نور الله في قلوبهم، فظهر الحق، وزال الشك، وانقشع الريب، وتبين الزيف، فضربوا أروع الأمثال في الثبات على الحق الذي أيقنوا به، وضحوا بأرواحهم في سبيله.

د) الصبر على المكروه:

على الجندي المسلم الرضى بالمكروه، فإن لم يستطع فإن في الصبر عليه خيراً كبيراً، يقو النبي ﷺ :" إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة"[(1)]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والعبد له في المقدور حالان حال قبل القدر وحال بعده، فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكل عليه ويدعوه، فإذا قدر المقدور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به، وإن كان بفعله وهو نعمة حمد الله على ذلك وإن كان ذنباً استغفر إليه من ذلك".. ويقول رحمه الله تعالى: "والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله، والرضا قد قيل إنه واجب وقيل هو مستحب، وهو الصحيح، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها، حيث جعلها سببا لتكفير خطاياه ورفع درجاته وإنابته وتضرعه إليه، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين"[(2)]
وليتذكر قول الله عز وجل:﴿**فَإِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا.إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا**﴾ [الشرح: 5-6].

يقول ابن رجب رحمه الله: "روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن مسعود قال: لو أن العسر دخل جحراً لجاء اليسر حتى يدخل معه ثم قال: قال الله تعالى:﴿**فَإِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا.إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا**﴾ وبإسناده أن أبا عبيدة حصر فكتب إليه عمر يقول: مهما يترل بامرئ شدة يجعل الله

(1) صحيح الجامع للألباني:رقم (1952).
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية:(76/8).

بعدها فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين وإنه يقول:﴿**اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 200]"[1].

قال الفضيل: "والله لو يئست من الخلق حتى لا ترى منهم شيئا لأعطاك مولاك كل ما تريد، وأيضا فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم تظهر عليه الإجابة يرجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها: إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل به من البلاء وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله"[2].

2- صور مشرقة من أسرى السلف الصالح:

الدين الحقيقي هو ما يُحَوِّل الأقوال إلى نضال وجهاد يدفع بالمؤمن الصادق لبذل النفس والنفيس لبناء المجتمع السعيد أو إيصال الخير إلى أفراد البشرية دون مقابل من أجر أو ثناء. ولكن حباً في الله ومسارعة إلى رضاه.

ومن يقلب صفحات التاريخ..ويسائلها عن ذلك فإنها ستحدثه عن هذه الطبيعة والتي تعد أمراً طبعياً لا غرابة فيه، فكم قُتل من أبطال، وكم جُرح من رجال، وكم أُسر من فرسان، فهل وهَنَت نُفُوسهم، وهل جبنت قلوبهم، بل هل تسرب الوهن إلى قلوبهم؟! قال الله تعالى:﴿**وكأيِّن**

(1) جامع العلوم والحكم:(491/1).
(2) جامع العلوم والحكم:(494/1).

من نبيٍّ قاتلَ مَعَهُ رِبيُّون كثير فما وَهَنوا لما أصابَهم في سبيل الله وما ضَعُفوا وما استكَانُوا والله يحبُ الصابرين﴾ [آل عمران: 146]. وفي قراءة أخرى:﴿ **وكأيِّن من نبيٍّ قُتِل...**﴾ قُتل نبيهم فلم يتخلوا عن المنهج بل لم يدخل الوهن إلى قلوبهم و لم يضعفوا بل قاتلوا وساروا على ما سار عليه إما النَّصر وإما الشهادة، فلا تحزن إن وقعتَ في الأسر فقد قيل: خف الشر من موضع الخير، وارجُ الخيرَ من موضعِ الشر، فربَ حياةٍ سببها طلبُ الموتِ، وموتٌ سببه طلب الحياة، وأكثر ما يأتي الأمن من ناحية الخوف. وتأسَّ بأبطال الإسلام فلك فيهم أسوة، وفي أعمالهم خلف القضبان سلوة، ومن هؤلاء:

1- خبيب بن عدي رضي الله عنه

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"بعث النبي ﷺ عشرة عينا[1]، وأمر عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه ، فَنَفَرُوا لهم هُذَيْلٌ بقريب من مائة رجل رام، فلما أحس بهم عاصم لجأوا إلى قَرْدَدٍ-جبل- فقالوا لهم: انزلوا فاعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة نفر، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله! لا أصحبكم إن لي بهؤلاء لأسوة فجروه فأبى أن يصحبهم فقتلوه، فلبث خبيب أسيرا حتى أجمعوا قتله فاستعار موسى يستحدُّ بها، فلمَّا خرجوا به ليقتلوه قال لهم خبيب: دعوني أركع ركعتين،

(1) جواسيس على الأعداء.

ثم قال لهم: والله! لولا أن تحسبوا أنَّ ما بي جزعاً لـــزدتُ." [1] ثم قـــال: اللهمَّ أحصهم عدداً واقتلهم بدداً..ثم أنشد قائلاً:

لقد جمع الأحزاب حولي وألَّبــوا	قبائلهم واستجمعوا كـــل مجمـــع
وكلهم مبدي العـــداوة جاهـــداً	علـــي لأني في وثـــاق مـــضيع
وقد جمعوا أبنـــاءهم ونـــساءهم	وقربت من جذع طويـــل ممنـــع
وقد خيروا في الكفر والموت دونه	وقد هملت عيناي من غير مجـــزع
وما بي حذار المـــوت إني لميـــت	ولكن حذار لهب نـــار مـــسفع
فذا العرش ثبتني على ما يـــراد بي	فقد بضعوا لحمي وقد يأس مطمعـــي
ولستُ أُبالي حينَ أُقتل مـــسلماً	على أيِّ جنبٍ كانَ في الله مـــصرعي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يـــشاء	يبارك على أوصالِ شـــلوٍ ممـــزع
فلـــست بمبـــدٍ للعـــدو تخـــشعاً	ولا جزعـــاً إني إلى الله مرجعـــي

2- عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه:

" أَسَرت الرومُ عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الطاغية: تنصَّر وإلا ألقيتك في النقرة النحاس، فقال: مـــا أفعل. فدعا بنقرة من نحاس فملئت زيتا وأغليت ودعا رجلاً من المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى فألقاه في النقرة فإذا عظامه تلوح، فقال لعبدالله بن حذافة: تنصر وإلا ألقيتك، فقال: ما أفعل، فأمر أن يلقى في النقـــرة فكتفوه فبكى، فقالوا: قد جزع، قد بكى، قال: ردوه، فقال: لا تظنن أني قد بكيت جزعاً، ولكن بكيت إذ ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا

(1) سنن أبي داود رقم:(2660)، باب في الرجل يستأسر؛ صحيح البخاري مطولا رقم:(3045)، كتاب الجهاد والسير.

في الله عز وجل، كنت أحب أن يكون لي أنفس عدد كل شــعرة فيَّ، ثم تسلط عليَّ فتفعل بي هذا، قال: فأعجبه وأحبَّ أن يطلقه، فقــال قبــل رأسي وأطلقك، قال: ما أفعل، قال: تنصر وأزوجك ابــنتي وأقاسمــك ملكي، قال: ما أفعل، قال: قبِّل رأسي وأطلق معك ثمانين من المــسلمين، قال: أما هذا فنعم، فقبل رأسه فأطلقه وثمانين معه. فلما قدموا على عمر قام إليه عمر فقبَّل رأسه، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله ويقولون: قَبَّلت رأس علج"[1].

3- ابن النابلسي رحمه الله:

الإمام القدوة الشَّهيد[2]؛ أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملــي؛ ويعرف بابن النابلسي. كان عابداً صالحا زاهدا، صداعا بالحق، وكــان إماماً في الحديث، قال أبو ذر الحافظ: سجنه "بنو عبيد" وصلبوه علــى السنَّة. ولما استولى العبيديون على الشام "فلــسطين" هــرب الــصلحاء والفقراء من بيت المقدس. وكان العبيديون يجبرون علماء المسلمين علــى لعن أعيان صحابة رسول الله ﷺ على المنابر. وكان ممن هرب من العلماء من وجه العبيديين الإمام النابلسي، الذي هرب من الرملة إلى دمشق. ولما ظهر المعز لدين الله بالشام واستولى عليها، أظهر الدعوة إلى نفسه، وأظهر المذهب الرديء، ودعا إليه، وأبطل التراويح وصــلاة الــضحى، وأمــر بالقنوت في الظهر بالمساجد. وكان الإمام النابلسي يرى قتال الفــاطميين ويقول: لو كان في يدي عشرة أسهم كنت أرمي واحداً إلى الــروم وإلى

(1) الثبات عند الممات، ابن الجوزي:(53/1). المنتظم، ابن الجوزي:(320/4). أسد الغابة في معرفة الصحابة:(547/2)؛ عمدة القاري:(314/17)، بدر الدين العيني؛ كتاب المغازي.
(2) هكذا وصفه الامام الذهبي في سير أعلام النبلاء:(148/16).

هذا الطاغي تسعة. وبعد أن استطاع حاكم دمشق أبو محمود الكتامي أن يتغلب على القرامطة أعداء الفاطميين، قام بالقبض على الإمام النابلسي وأسره، وحبسه في رمضان، وجعله في قفص خشب. ولما وصل قائد جيوش المعز إلى دمشق، سلَّمه إليه حاكمها. فحمله إلى مصر.

فلما وصل إلى مصر، قال له بعض الأشراف ممن يعانده: الحمد لله على سلامتك!

فقال: **الحمد لله على سلامة ديني وسلامة دنياك!!!**

ثم جاء جوهر للمعز لدين الله بالزاهد أبي بكر النابلسي، فمثل بين يديه. فسأله:

- بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهماً وفينا تسعة!

فقال الإمام النابلسي:

- ما قلت هكذا!!

ففرح القائد الفاطمي، وظن أن الإمام سيرجع عن قوله. ثم سأله بعد برهة:

- فكيف قلت؟

قال الإمام النابلسي بقوة وحزم:

- قلت: إذا كان معه عشرة وجب أن يرميكم بتسعة، ويرمي العاشر فيكم أيضاً!!!

فسأله المعز بدهشة:

- و لم ذلك؟!!

فرد الإمام النابلسي بنفس القوة:

- لأنكم غيرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وأطفأتم نور الإلهيــــة، وادَّعيتم ما ليس لكم.

فأمر بإشهاره في أول يوم، ثم ضُرب في اليوم الثاني بالسياط ضــــرباً شديداً مبرحاً. وفي اليوم الثالث، أمر جزاراً يهودياً بسلخه – بعد رفــض الجزارين المسلمين –، فسُلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر، حتى بلغ العضد، فرحمه السَّلاخ وأخذته رقة عليــــه، فــوكز السكين في موضع القلب، فقضى عليه، وحشي جلده تبناً، وصُلب. وقتل النابلسي في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة من الهجرة.

ذكر الذهبي رحمه الله أن أبا ذر الحافظ قال:" سمعت الــدار قطــني يذكره ويبكي ويقول: كان يقول وهو يُسلخ:﴿**كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا**﴾ [الإسراء: 58]. [1] رحمه الله رحمة واسعة وأعلى مترلته.

(1) سير أعلام النبلاء:(16/148-149)، ومصادر أخرى.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لاختيار موضوع هذا البحث ومنَّ عليَّ بالتمام، كما أرجوه أن يتقبَّلَ منِّي، وأن ينفعَ به إخواني المسلمين، لا سيما المضطهدين منهم والمجاهدين، حَمَاةَ الدين الصادقين، خيرُ الناسِ أجمعين[1]، الذين باعوا حياقم وأموالهم وأمنهم وآمالهم لله رب العالمين، واشتروا جنةً عرضها السموات والأرضون، تقبل الله منهم البيع وأسكنهم أعالي الجِنان!

كتبتُ هذا.. ابراءً للذمةِ أمام الله تعالى من خُذْلاهم، وذَباً عن أعراضهم .. وبعثاً للأملِ في قلوبِ المؤمنين والأسرى والمضطهدين، فالمعركةُ القائمة اليوم بين أهل الكفر وأهل الإيمان، لَهِي من أشرس المعارك في تاريخ الإسلام، وهي أشبه ما تكون بالفترات العصيبة التي مرت في تاريخ الإسلام، كغزوة بدرٍ وغيرها، فالمعركة فاصلة، إما أن نكون أو لانكون!

فالقابضون على الجمر اليوم من العلماء والمجاهدين وغيرهم أشبه ما يكونون بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن تخلَّف عن نصرة هذا الدين وجنوده المجاهدين أشبه ما يكونون بالمتخلفين عن نصرة النبي ﷺ في غزواته كغزوة تبوك وغيرها. فكُلُّ من تخلَّف عن واجب نصرة الدين اليوم ففيه شبه بمن تخلَّف عن نصرة النبي ﷺ في غزواته! فمن قال اليوم: إنَّ ما يقوم به المجاهدون اليوم ليس جهاداً في سبيل الله، ففيه شبه بمن قال بالأمس:﴿**لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ**﴾! ومن سعى في تخذيل

(1) لحديث النبي ﷺ "خير الناس منزلة: رجل على متن فرسه، يخيف العدو ويخيفونه" في الترغيب والترهيب للمنذري :(158/2) رقم:(1917) دار الكتب العلمية. وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: رقم:(3333).

المجاهدين اليوم بقوله: إنَّ هؤلاء المجاهدين جرُّوا الأمة لمعركة غير متكافئة، إذْ قتال الروم ليس كقتال غيرهم، فقد تأسى بمن قال: إنَّ محمداً"ﷺ" وأصحابه يظنون أنَّ قتال بني الأصفر كقتال العرب! وله أسوة أيضا بالشاكين بوعد الله القائلين:﴿**غَرَّ هَـٰٓؤُلاءِ دِينُهُمْ**﴾!

بل منَّا من تفوق على مثل هذا، فحمَّل عاتقه راية التبطيء والتعويق عن الجهاد، بل وتضليل المجاهدين وتخطئتهم والتحذير منهم! بحجة أنهم أحداث أو أنهم ليسوا متخصصين في العلم الشرعي! وكأنَّ النبي ﷺ قد أوصى أمته بالرجوع لأهل التخصص حال التراع، أو أمر المسلمين بعدم الإقدام على أي فعل إلا بعد الرجوع لأهل التخصص، فقال من كانت عنده مسألة في الفرائض فلا يسأل إلا زيد بن ثابت! ومن كانت عنده مسألة في الحلال والحرام فلا يسأل إلا معاذ بن جبل[1]..!

أوليس القرآن بين أيدينا.. ألم يقل الله تعالى:﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾[النساء:59][2]، أليس النبي ﷺ قد أتى بها بيضاء نقية؟! فلم هذا التحجير والتضييق؟! ولم هذا الاستعلاء والاستكبار! فالنبي ﷺ حذَّر من هذا فقال :"...وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَعَلَّمُونَ فِيهِ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُونَهُ وَيَقْرَؤونَهُ، ثُمَّ يَقُولُونَ: قَدْ قَرَأْنَا وَعَلِمْنَا، فَمَنْ ذَا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنَّا، فَهَلْ فِي أُولئِكَ مِنْ خَيْرٍ؟" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أُوْلئِكَ؟ قَالَ: "أُوْلئِكَ مِنْكُمْ، وَأُوْلئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ"[3].

---

(1) انظر تمام الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم:(1224).

(2) انبه على أن المراد من قول الله:"ولو ردوه إلى الرسول.. لعلمه الذين يستنبطونه.."النساء:83. هو الترغيب في ارجاع نتائج فعل المجاهدين من نصر أو هزيمة للعلماء الصادقين قبل إشاعة خبرهم في المجتمع، انظر تفسير الطبري:(114/5).

(3) صحيح الترغيب والترهيب:(130/1)، رقم:(130)،:(باب الترهيب من الدعوى في العلم والقرآن) حسنه الألباني.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" كان عمر ﷺ يُشاور الصحابة رضي الله عنهم ويُناظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ويُقِرُّهُم[1] على منازعته، ولا يقول لهم: أنا مُحَدَّث مُلهم مخاطَب فينبغي لكم أن تقبلوا منّي ولا تعارضوني، فأي أحد ادعى أو ادعى له أصحابه أنَّه وليّ لله وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة فهو وهم مخطئون، ومثل هذا من أضل الناس، فعمر بن الخطاب ﷺ أفضل منه وهو أمير المؤمنين، وكان المسلمون ينازعونه فيما يقوله، وهو وهم على الكتاب والسنة، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ[2] "[3]، "**فعياذاً بالله ممن جعلَ الملامةَ بضاعته.. والعذلَ نصيحتَه.. فهو دائماً يبدي في الملامةِ ويُعيد.. ويُكرر العذلَ فلا يفيد ولا يستفيد. بل عياذاً بالله من عدوٍ في صورةِ ناصح.. ووليٍ في مسلاخِ بعيد كاشح.. يجعل عداوته وأذاه حذراً وإشفاقاً.. وتنفيره وتخذيله إسعافاً وإرفاقاً.. قد اتخذ بطر الحق وغمط الناس سلماً إلى ما يحبه من الباطل ويرضاه.. ولا يعرف من المعروف ولا ينكر من المنكر إلا ما وافق إرادته أو حالف هواه.. يستطيل على أولياء الرسول ﷺ وحزبه بأصغريه.. ويجالس أهل الغي والجهالة ويزاحمهم بركبتيه..وإذا كانت العين لا تكاد إلا على هؤلاء تفتح.. والميزان بهم**

(1) في الأصل ويقررهم.

(2) أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَدَعُ غَيْرَ النَّبِيِّ"، كما في الدرر المنتثرة للجلال السيوطي،:(225/1) طبعة دار الفكر.وأثر عن الامام مالك نحو ذلك.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية:(207/11).

يخف ولا يرجح.. فما أحرى اللبيب بأن لا يعيرهم من قلبه جزءاً من الالتفات.. ويسافر في طريق مقصده بينهم سفره إلى الأحياء بين الأموات"[1].

وقد قصَّ اللهُ لنا قصة "**الشيخ بلعام!**" وجعله مثلاً لعالم السوء المتخصص الذي لم يعمل بعلمه، فالشيخ بلعام بن باعوراء، من بني اسرائيل، وكان فضل الله عليه عظيما، إذ منَّ الله عليه بأفضل العلوم وزبدها، فكان عالما بالله تعالى، وكان يعلمُ اسم الله الأعظم، فلمَّا انتكسَ قلبه وأخلدَ إلى الأرض، **سخَّر علمه في خدمةِ الكافرين، وعداوة المجاهدين، فشبهه الله بالكلب! لأنه لم يسخر علمه فيما يعود عليه وعلى دينه بخير، بل اتخذه شعاراً ليتزود به من متاع الحياة الدنيا ما يوبق عليه آخرته**[2].

وبالمقابل ضرب الله لنا مثلاً للمؤمنِ الصادق، صاحب الفطرة السوية، فذكر لنا قصة صاحب الأخدود[3]، **والذي لم يكن صاحب تخصص**، لنتأسى به، في صبرهِ وتصلُّبهِ في الحق وتمسُّكِهِ به، وبذّلِهِ نفسه في حق إظهار دعوته، ودخولِ الناس في الدين مع صِغرِ سنه وعِظَمِ صبره. وكذلك الراهب صبر على التمسُّكِ بالحق حتى نُشِر بالمنشار. وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسَخَ الإيمانُ في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم.﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلا أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ**﴾ [البروج:8]. فالإيمان مع القتل والتحريق، أفضل

(1) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية:(1/47-48) بتصرف يسير.
(2) للمزيد من قصته انظر تفسير القرطبي:(7/319).
(3) للمزيد من قصته انظر صحيح الجامع للألباني:رقم (4461).

وأحسن عاقبة من العيش في أمن ورغد عيش مع الشرك بالله، وهذا ما تقتضيه الحكمة التي خلق الله الخلق لأجلها.

فدعوى المطالبة بالرجوع لأهل التخصص من جميع المسلمين حتى من أصحاب التخصصات الشرعية الأخرى دعوى باطلة لا دليل عليها من كتابٍ وسنةٍ، فالطاعةُ المطلقة لا تكون إلا لله ورسوله ﷺ ! **والحق ضالة المؤمن أينما وجده فهو أحق به! وتقدير المصالح والمفاسد ينبغي أن يضبط بالمقاصد الشرعية لا بالأهواء الشخصية!** فالله حذر النبي ﷺ من الوقوع في هذا المزلق الخطير فقال سبحانه:﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا. وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [الأحزاب:1-2]، قال الفخر الرازي:"**إنَّ متوهماً لو قال: إذا قال الله شيئاً وقال جميع الكافرين والمنافقين مع أنهم أقارب النبي ﷺ شيئا آخر، ورأوا المصلحة فيه وذكروا وجهاً معقولاً، فاتباعهم لا يكون إلا لمصلحة، فقال الله تعالى إنه حكيم! ولا تكون المصلحة إلا في قول الحكيم، فإذا أمرك الله بشيء فاتبعه ولو منعك أهل العالم عنه**"[1]. وقال شيخ الإسلام محذراً العلماء من مغبة الانجراف مع الآخر أنها قد تؤدي إلى الكفر عياذاً بالله فقال:"ولا ريب أن هذه الطوائف - المشركة كالكلدانيين وغيرهم- وإن كان كفرها ظاهراً، فإن كثيراً من الداخلين في الإسلام. حتى من المشهورين بالعلم، والعبادة، والإمارة، قد دخل في كثير من كُفرهم، وعظَّمهم، ويرى تحكيم ما قررُوه من القواعد ونحو ذلك. وهؤلاء كثروا

(1) تفسير الفخر الرازي:(190/25).

في المستأخرين، ولبَّسوا الحق ــ الذي جاءت به الرسل ــ بالباطل الذي كان عليه أعداؤهم." [1].

فإذا فعل المجاهدون أمراً أصابوا فيه أم أخطأوا فحق الأخوة لا يزول عنهم، فهم لم يعصوا الله في فعلهم، وفعلهم هذا لا يسلبهم حق الأخوة الإسلامية، فضلاً عن الوقوف ضدهم وتجهيلهم وتجريمهم وتحذير الناس منهم!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله:"فإذا أحاط المرء علماً بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة، وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم: علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسؤول عنهم – التتار– ، مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم، **إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك... وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديماً وحديثاً. وهي واجبة على كل مكلَّف. وهي متوسطة بين طريق الحرورية[2] وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشيء عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقاً وإن لم يكونوا أبراراً**. ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل." [3]. ومما يدل على أن خطأ المجاهدين مغفور شرعاً وإن ترتب عليه ما ترتب ما أجمع عليه الصحابة الكرام يقول ابن القيم رحمه الله:" **وأجمع أصحابُ رسول الله ﷺ على أن كل مال أو دم أصيب**

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية رحمه الله:(202/28).

(2) أي الخوارج.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية:(28/507-508).

بتأويل القرآن فهو هَدَر في قتالهم في الفتنة، قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحابُ رسول الله ﷺ كلهم متوافرون، فأجمعوا على أن كل مال أو دم أصيب بتأويل القرآن فهو هدر، أنزلوهم مترلة الجاهلية، ولم يؤاخذ النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين رَمَى حاطِبَ بن أبي بَلْتعة المؤمن البدري بالنفاق لأجل التأويل، ولم يؤاخذ أسيد بن حضير بقوله لسعد سيد الخزرج: "إنك منافق تجادل عن المنافقين" لأجل التأويل، ولم يؤاخذ من قال عن مالك بن الدخشم: "ذلك المنافق نرى وجهه وحديثه إلى المنافقين" لأجل التأويل، ولم يؤاخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ضرب صدر أبي هريرة رضي الله عنه حتى وقع على الأرض وقد ذهب للتبليغ عن رسول الله ﷺ بأمره فمنعه عمر وضربه وقال: "ارجع" وأقره رسول الله ﷺ على فعله، ولم يؤاخذه لأجل التأويل" [1].

فالواجب على العلماء تبيين الحق[2]، لكي لا يلتبس الحق بالباطل، فكم التبس على المسلمين الجهاد المشروع بالتخريب والافساد، والاعتدال والوسطية بعقيدة الارجاء[3]، وتكفير المرتد بارتكابه ناقضاً من نواقض الإسلام بمنهج الخوارج، وغير ذلك كثير، **فسكوت العلماء عن تبيين الحق، وإزالة اللبس،له أثر كبير في حدوث الفتن، وتغيير المفاهيم والمبادئ،** فسفك الدماءِ أهون عند الله من التباس الحق بالباطل، قال تعالى: ﴿**وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ**﴾[البقرة:217].

---

(1) إعلام الموقعين:(382/2).

(2) ذكر النبي ﷺ من علامات الساعة "كتمان شهادة الحق" ، السلسة الصحيحة للألباني رقم :(647).

(3) قال النبي ﷺ:"صنفان من أمتي لا يردان علي الحوض: القدرية، والمرجئة"كتر العمال للمتقي الهندي:(38/1) رقم:(560). وصححه الألباني في السلسة الصحيحة رقم:(2784).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" إن أولي الأمر من المسلمين من العلماء والأمراء، ومن يتبعهم، على كل واحد منهم حقوق للناس، هي المقصودة الواجبة منه في مرتبته، وإن لم تكن مطلوبة من غير ذلك النوع، ولا واجبة عليه، إذْ وجوبها عليه دون ذلك ... وكذلك أهل العلم الذين يحفظون على الأمة الكتاب والسنة صورة ومعنى، مع أن حفظ ذلك واجب على الأمة عموما على الكفاية منهم، ومنه ما يجب على أعيانهم وهو علم العين الذي يجب على المسلم في خاصة نفسه، **لكن وجوب ذلك عيناً وكفاية على أهل العلم الذين رأسوا فيه أو رُزقوا عليه أعظم من وجوبه على غيرهم، لأنه واجب بالشرع عموماً وقد يتعين عليهم لقدرتهم عليه وعجز غيرهم، ويدخل في القدرة استعداد العقل وسابقة الطلب ومعرفة الطرق الموصلة إليه من الكتب المصنفة والعلماء المتقدمين وسائر الأدلة المتعددة والتفرغ له عما يشغل به غيرهم**"(1).

فالدعوة إلى الحق والعدل، حقٌ يطالبُ به كل الناس، مسلمهم وكافرهم، مؤمنهم ومنافقهم، كل حسب ما يعتقد، وقد قال الله تعالى:﴿**ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾[الجاثية:18-19]، **والحق المسلوب لا يأتي إلى صاحبه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط، بل يجب على صاحبه أن ينتزعه انتزاعاً!** يدل على ذلك قول الله تعالى:﴿ **لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ**﴾[الأنفال:8]، وقوله

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية:(186/28).

تعالى:﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا**﴾ ثم يؤكد الله على وجوب البذل في سبيل احقاق الحق فيختم الآية بقوله تعالى:﴿**وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ**﴾"[الحج:40]

فالمؤمن الصادق ينصر الحق وأهله، ويألُم لمصابهم، قال النبي ﷺ "..يألم المؤمن لما يصيب أهل الإيمان، كما يألم الرأس لما يصيب الجسد"(1).

فالمجاهدون والأسرى لهم حق أوجبه الله علينا، ونصرهم فريضة افترضها الله علينا، فمن لم يستطع نصرهم بالنفس والمال، فلا عذر له في كف لسانه عن أعراضهم، فالنبي ﷺ يقول:"رحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم"(2)، وإن لم يفعل فسيحبسه الله في ردغة الخبال يوم القيامة، قال النبي ﷺ :"..ومن خاصم في باطل وهو يعلم؛ لم يزل في سخط الله حتى ينْزِع، **ومن قال في مؤمن ما ليس فيه؛ حبس في ردغة الخبال؛ حتى يأتي بالمخرج مما قال**"(3).

أقِلُّوا عليهم لا أباً لأبيكم من اللومِ أو سدوا المكان الذي سدوا

يقول ابن العربي رحمه الله في بيانه لحقوق الأسرى:" فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة؛ حتى لا تبقى مِنَّا عين تطرِف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في

---

(1) كنز العمال، للمتقي الهندي:(48/1) رقم:(763). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم:(1137).

(2) مسند الشهاب للقضاعي:(338/1) رقم:(581) مؤسسة الرسالة. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم:(855).

(3) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى:(464/8) رقم:(11525) دار الفكر. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم:(437).

ٱستخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم. كذلك قال مالك وجميع العلماء: **فإنا لله وإنا إليه راجعون، على ما حلَّ بالخلق في تركهم إخـــوانَهم في أسر العدوِّ وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال والعدة والعدد والقوَّة والجَلَد**"[(1)].

إن تجاهل عامَّة المسلمين لأمرهم، والإصرار على خُذْلانهم ونكـــران حقوقهم، يعقبه فتنن عظيمة، على الأمة الإسلامية، كما حذَّر الله من هذا فقال:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّـــن شَـــيْءٍ حَتَّـــى يُهَـــاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفـــال:73-74]. يحـــذر الله عباده، ويخوِّفهم من عاقبة ترك واجب النصرة، فلك أن تتخيـــل أخـــي المسلم.. **كم من فتنةٍ حلَّت بالأمة الإسلامية جراء تركهـــا لواجـــب النصرة!**﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور:63]، لك أن تتأمل.. **كم باباً من أبواب الفساد، كان موصداً، فُتح علينا عندما خذلنا إخواننا وتركنا واجب النـــصرة! لك أن تتعجب.. من تجرؤ فجار العالم وفساقه وسفلة القوم على الدين وعلمائه، عندما تخلوا عن واجب التبيان والنصرة!** لك أن تُعيد تـــدبر قول الله تعالى:﴿**إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِـــى ٱلأَرْضِ وَفَـــسَادٌ كَـــبِيرٌ**﴾ ثم

(1) أحكام القران، ابن العربي:889/2، دار الفكر.

تتساءل: ما هذه الفتنة؟ وما نوع الفساد؟ وما حجمه؟ وما أثــره علــى الدين والفرد والمجتمع؟!.

فالدين الدين يا علماء الإسلام[1]، فالله عز وجل قد أخذَ علــيكم الميثاق، فدين الله أمانة في أعناقكم، ونصرة المجاهدين وفِكاكُ الأسرى من أوجب الواجبات علينا، وسِهام الغدر صُوبت نحو كبد الإسلام، وأوثــق عرى الإيمان، والمفسدون سعوا في تغيير مناهج الدين[2] الــتي وضــعها العلماء الربانيون وأنتم صامتون؟! فإذا أخذتم أنتم بالرخصة وأجبتم بالتُقية والجاهل يجهل فمتى يتبيَّن الحق؟ ألا فاتقوا الله في الأجيال القادمة، وقفوا موقف الصديق ﷺ من المبدلين.﴿**وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:42]، يقول الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد:" فلا يجوز ترك بيان السنة والهدى، ويجب رد الاجتــهادات والتــأويلات الخاطئة، فضلا عن الفاسدة أصلا، بل يجب البيان لحفظ هذا الدين وكف العدوان عليه. وهذا من إعطاء الاسلام حقه، والوفــاء بموجــب العلــم والإيمان"[3]

فالنبي ﷺ قال : "ألا إنِّي أوشك أن أدعى فأجيب، فيليكم عمَّال من بعدي؛ يقولون ما يعلمون، ويعملون بما يعرفون، وطاعة أولئك طاعــة، فتلبثون دهرا، ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون، فمن ناصحهم ووازرهم وشدَّ على أعضادهم؛ فأولئك قد

(1) هذا لايتنافى مع الأدب الواجب تجاه علماءنا الأفاضل فالدين النصيحة.

(2) انظر "حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين، وفيه اقتراح بانشاء شعبة دراسات اسلامية من كلية الآداب لتخــريج مدرس الدين الإسلامي المرن الذي يستطيع أن يساير الزمن!" ص: (239).

(3) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان. ص: (44).

هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم، **واشـــهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مـــسيء**"[1]. وفي روايـــة:" سيكون بعدي خلفاء يعملون بما يعلمون، ويفعلون ما يؤمرون، وسيكون بعدي خلفاء يعملون بما لا يعلمون، ويفعلون ما لا يؤمرون، **فمن أنكـــر عليهم برئ، ومن أمسك بيده سلم، ولكن من رضي وتابع**"[2].

لقي أبو جعفر المنصور سفيانَ الثوريَّ رحمه الله وهو يطوف، فقـــال له: ما يمنعك أن تأتينا؟. قال: إن الله نهى عنكم قال تعالى:﴿**وَلَا تَرْكَنُـــوٓا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ**﴾[هود:113]. فالتفت أبـــو جعفـــر المنصور إلى أصحابه وقال: **ألقينا الحَبَّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كـــان من سفيان، فإنه أعيانا فرارا**[3]، قال سفيان رحمه الله:" ما أخاف مـــن إهانتهم لي، وإنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم[4]" وقال رحمه الله: "ما وضع رجل يده في قصعة رجل إلا ذلَّ له"[5].

فالمؤمن غرٌّ كريم، والمنافق فاجرٌ لئيم، فليحذر المؤمن مـــن كيـــد الكائدين، **فلا ينبغي للمؤمن أن يكون معبراً لتحقيق رغبات وشهوات الذين لا يعلمون**.، بل يجب أن يَبرُز دور العلماء وأهل العقيدة في زمـــن الفتن والأزمات، ويجب استثمار الأحداث لنصرة الدين وأهله، وتقويـــة أواصر الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، **فاليهود والنصارى بعضهم أوليـــاء**

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم:(457).

(2) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى:(293/12) رقم:(16953) دار الفكر. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الـــصحيحة رقم:(3007).

(3) مواعظ الإمام سفيان الثوري، ص:(10).

(4) تلبيس ابليس، ابن الجوزي، ص:(122) دار الفكر.

(5) سير أعلام النبلاء للذهبي:(243/7)، مؤسسة الرسالة،الطبعة الرابعة، 1406هـــ ،بيروت.

بعض، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، والمنافقون بعضهم من بعض، فمن الواجب أن يكون المؤمنون بعضهم أولياء بعض، ولا يجوز بحال من الأحوال أن يقف المؤمنون في خندق واحد مع الكافرين والمنافقين ضد المؤمنين والمجاهدين لأي سبب من الأسباب، فلا يفوتنكم التأسي بقافلة الحق من الأنبياء والصالحين، فهذه أيام الصبر، التي أخبر عنه النبي ﷺ :" إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذٍ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم. قالوا يا نبي الله! أو منهم؟ قال: بل منكم"[1].

والله يختص من يحب من عباده بمنحٍ في أثوابِ محن، وهذه آثار القوم على صراط الله، فلا يَغُرَّنَّكم كثرة الخالفين، وجِدُّوا في السير لتلحقوا برفقاء الطريق، من الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، فوالله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وسعد ومعاذ والمقداد والمثنى، حاضرين في هذا الزمان لكان من أفضل أعمالهم حماية حمى الدين، ونصرة الأسرى والمجاهدين وقتال الكافرين[2].

فالنبي ﷺ يقول:" **خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان فرسه خلف أعداء الله يخيفهم ويخيفونه،** أو رجل معتزل في باديته يؤدي حق الله الذي عليه"[3]، ولكم وعد من الله بأن يتركم منازل السابقين، ويلحقكم بهم كما وعد سبحانه:﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلأنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ**

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير:(117/17) رقم:(289). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم:(494).

(2) مقتبس من مجموع فتاوى ابن تيمية:(420/28).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك:(493/4) رقم:(8431). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم:(698)، وفي صحيح الجامع رقم:(3292).

وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:100].

وفي الختام أسأل الله أن يغفر لي ذنبي وإسرافي في أمري وجرأتي في النصح والتبيان لعلماء الإسلام، ولكن حسبي أن هدهداً تكلم بحضرة سليمان عليه السلام، ولولا إحساسي بأهمية الموضوع مع خلو المكتبة الإسلامية من مثله فيما أعلم، لما تجرأت على كتابة مثل هذا الكتاب، فأحببت أن أشارك بقدر المستطاع بعد الاستعانة بالله، **في تقديم ما يمكن تقديمه للأسرى والمجاهدين في سبيل الله**. ولقفل الباب أمام المزايدين **فعقيدتي هي عقيدة أهل السنة والجماعة، في لزوم جماعة المسلمين وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة**[1]. وهذا ما توصل إليه الأستاذ المفكر سيد قطب رحمه الله من **عدم جدوى اضاعة الوقت في الأحاديث السياسية وفكرة الاصلاح عبر الاستيلاء على الحكم** فقال:" بعد مراجعة ودراسة طويلة لحركة الإخوان المسلمين، ومقارنتها بالحركة الإسلامية الأولى للإسلام أصبح واضحاً في تفكيري أن الحركة اليوم تواجه حالة شبيهة بالحالة التي كانت عليها المجتمعات البشرية يوم جاء الإسلام أول مرة من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة الإسلامية، والبعد عن القيم والأخلاق الإسلامية، وليس فقط البعد عن النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية..

.. ولا بد إذن أن تبدأ الحركات الإسلامية من القاعدة، وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول، وتربية من يقبل

(1) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية:(128/28).

هذه الدعوة وهذه المفهومات الصحيحة تربية إسلامية صحيحة، وعـــدم إضاعة الوقت في الأحاديث السياسية الجارية، وعدم محاولات فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الإسلامي لأنها عرفته على حقيقتـــه، وتريد أن تحكم به..... فبدأ معها من العقيدة والخُلُق، لا مـــن الـــشريعة والنظام.

واليوم يجب أن تبدأ الحركة والدعوة من نفس النقطة التي بدأ منـــها الإسلام وأن تسير في خطوات مشابهة مـــع مراعـــاة بعـــض الظـــروف المغايرة"[1].

فلنجتمع على كلمة التوحيد أولاً ثم لنوحد المجتمع!.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل صالحاً ولوجهه خالصاً، وأرجوا منـــه القبول والإحسان وأسأله أن يبارك فيه وينفع به، وأبرأ إلى الله عز وجـــل من كُلِّ ما هو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في هذا الكتاب، وإن كان موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلله الحمد والمِنَّة على توفيقـــه وإحسانه، مستعيذاً به من شرَّ كُلِّ ذي شر، فإن لكُلِّ نعمة حاسداً، ولكل حق جاحداً.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد النبي الأُمي، وعلى أزواجـــه أمهـــات المؤمنين، وعلى ذريته وأهل بيته، ومن اقتفي أثرهم إلى يوم الدين.

(1) زهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين د. سيد العفاني:(543/2) دار العفاني، نقلا عن جريدة المسلمين الدولية"المـــسلمون" السنةالأولى، العدد الثالث، الصادر في يوم السبت الموافق4/ جمادى الآخرة 1405هـــ . (6-7) حلقة من سلـــسلة مقـــالات تحت عنوان (لماذا أعدموني؟).

﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَاۤ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة:5].

كتبه

أبو أسامة - نبيل أحمد بابكر

في 1427/5/10هـ

alahtijab@gawab.com

المراجع

1- القرآن الكريم

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 1408هـ - 1988م.

3- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة ، 1990م.

4- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء السنة النبوية ، الطبعة الثالثة.

5- تفسير القرآن العظيم، للحافظ بن كثير القرشي، دار المعرفة، الطبعة الثانية 1407هـ - 1987م.

6- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

7- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي، دار الفكر.

8- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي.

9- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام سيدي عبدالرحمن الثعالبي، تحقيق أبو محمد الغماري الادريسي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

10- زاد المسير في علم التفسير ، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1414هـ 1994م .

11- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر.

12- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، دار الثقة تحقيق عبدالعزيز غنيم ، محمد أحمد عاشور، محمد ابراهيم البنا، المعروفة بطبعة الشعب.

13- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للامام محمد بن علي الشوكاني، وثق أصوله وعلق عليه سعيد محمد اللحام، المكتبة التجارية، مصطفي أحمد الباز ، مكة المكرمة.

14- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، لأبي عبدالله محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، 1408هـ - 1988م.

15- الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1421هـ - 2000م.

16- تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن للإمام الملك أبي الطيب صديق حسن القنوجي البخاري، المكتبة العصرية.1412هـ - 1992م.

17- تفسير البغوي "معالم التنزيل" للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1411هـ.

18- تفسير اللباب في علوم الكتاب، تفسير ابن عادل الدمشقي الحنبلي.

19- تفسير ابن عادل الدمشقي الحنبلي.

20- صفوة الآثار والمفاهيم من فسير القرآن العظيم لفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري ، الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م ، دار المغني للنشر والتوزيع.

21- لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى 1418هـ 1997م، دار المعرفة بيروت – لبنان.

22- الاستيعاب في بيان الأسباب، تأليف سليم الهلالي و محمد موسى آل نصر، الطبعة الأولى 1425هـ ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

23- صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م

24- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.

25- سنن النسائي "الصغرى"، للإمام للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض،السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.

26- سنن بن ماجة، للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد الرَبعِي ابن ماجة القزويني، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.

27- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأزدي السجستاني، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.

28- جامع الترمذي، الجامع المختصر من السنن عن الرسول ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى ، 1420هـ - 1999م.

29- المسند للامام أحمد، شرح وصنع فهارسه الشيخ أحمد شاكر، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1995م، دار الحديث، القاهرة.

30- مسند الامام أحمد، الطبعة الأولى، 1413هـ - 193م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، رقم أحاديثه محمد عبدالسلام عبدالشافي.

31- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

32- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م ، المكتب الإسلامي.

33- هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة للحافظ ابن حجر ، تخريج الألباني ، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م دار ابن القيم ، دار ابن عفان.

34- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، الطبعة الثانية 1424هـ - 2002م ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

35- التعليقات الحسان على صحيح بن حبان للألباني ، الطبعة الأولى 1424هـ ، دار باوزير للنشر والتوزيع.

36- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الثانية ، 1399هـ 1979م.

37- الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى 1412هـ - 1991م ، مؤسسة الرسالة.

38- مصنف ابن أبي شيبة، دار الفكر.

39- مسند الشهاب للقضاعي، مؤسسة الرسالة.

40- معجم الطبراني الكبير.

41- معجم الطبراني الأوسط.
42- الفتح الكبير للجلال السيوطي، دار الفكر.
43- كتر العمال، المتقي الهندي.
44- جامع المسانيد والمراسيل، الجلال السيوطي، دار الفكر.
45- مشكاة المصابيح للتبريزي، دار الفكر.
46- مجمع الزوائد، للهيثمي، دار الفكر.
47- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، توزيع المكتبة التجارية مكة المكرمة.
48- شرح صحيح مسلم للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، دار القلم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، 1407هـ - 1987م.
49- شرح صحيح مسلم للقاضي عياض ، المسمى اكمال المعلم بفوائد مسلم، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق د.يحي اسماعيل، دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الثانية ، 1425هـ - 2004م.
50- المفهم شرح صحيح مسلم للإمام القرطبي، دار الكتب المصري للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع،تحقيق لفيف من أصحاب الفضيلة والاختصاص.
51- مختصر صحيح مسلم تحقيق العلامة الألباني، المكتب الاسلامي، الطبعة السادسة 1407هـ.
52- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها "شرح مختصر صحيح البخاري" المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية، للإمام المحدث الورع أبي محمد عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي، الطبعة الثالثة ، دار الجيل – بيروت.
53- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية الامام السندي، تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة ، بيروت.
54- كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ، لأبي بكر بن العربي المعافري، الطبعة الأولى، 1992م، تحقيق الدكتور محمد عبدالله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي.
55- عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ بن قيم الجوزية، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، 1388هـ - 1986م، الناشر محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

56- مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ، للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ضبط عربيه وراجع أصوله وصححه عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

57- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير ابن رجب، الطبعة الرابعة، 1413هـ - 1993م، تحقيق شعيب الأرناؤوط وابراهيم باجس، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان.

58- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، للعلامة عبدالله الغنيمان، الطبعة الثانية، 1413هـ - 1993م.

59- الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني كلاهما تأليف الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا، دار الشهاب، القاهرة.

60- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين من بعدهم للشيخ العلامة أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق الشيخ الدكتور أحمد سعد حمدان، الطبعة الثانية ، 1411هـ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض.

61- عالم الجن والشياطين ، للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 1405هـ 1985م.

62- الرسل والرسالات ، للشيخ الدكتور عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الرابعة ، 1410هـ - 1989م ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع.

63- ركائز الإيمان، للشيخ الدكتور محمد قطب، الطبعة الأولى ، 1417هـ - 1997م ، مركز الدراسات والإعلام، دار اشبيليا، الرياض.

64- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد.

65- أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله في الفقه الإسلامي، د. مرعي بن عبدالله بن مرعي(439/2)، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، 1423هـ.

66- النيات في العبادات، للشيخ الدكتور عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثالثة ، 1415هـ - 1995م ، دار النفائس للنشر والتوزيع.

67- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السابعة، 1425هـ 2004م.

68- احياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2004م، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الدار النموذجية – المطبعة العصرية-بيروت.

69- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية،502/2، تحقيق محمد حامد فقي، مكتبة السنة المحمدية، توزيع مكتبة المحمدية.

70- زاد المعاد في هدي خير العباد ، للإمام بن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر، 1407هـ - 1986م، المكتب الإسلامي.

71- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

72- مختصر سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن عبدالوهاب.

73- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي،وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى 1405هـ - 1985م، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

74- البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى 1412هـ - 1998م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان.

75- تاريخ الطبري.

76- السيرة الحلبية، عبدالله الخفاجي، دار المعرفة.

77- تهذيب مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، هذبه عبدالمنعم صالح العلي العزي، الطبعة الثالثة، 1409هـ - 1989م مؤسسة الرسالة، بيروت.

78- كتاب الفرج بعد الشدة، للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي، تحقيق عبود الشالجي، 1389هـ - 1978م، دار صادر بيروت.

79- سير أعلام النبلاء، للامام الذهبي، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغرجي، الطبعة الرابعة.

80- كتاب المتوارين الذين اختفوا خوفا من الحجاج بن يوسف، للحافظ عبدالغني الأزدي، تحقيق مشهور حسن سلمان، دار القلم، دمشق.

81- كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات، والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات، وما يسر الله الكريم لهم من الإجابات والكرامات.الحافظ ابـن بـشكوال، ضبط وتعليق: غنيم بن عباس غنيم، نـشر دار المـشكاة، القـاهرة، الطبعـة الأولى 1414هـ.

82- زهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين، للشيخ الدكتور سيد بن حـسين العفـاني، الطبعة الثانية ، 1424هـ - 2004 م ، توزيع دار ماجد عسيري.

83- في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية السابعة عشر ، 1407هـ - 1987م، دار الشروق.

84- العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي،دار احياء التراث العربي.

85- فتوح الشام،للواقدي، دار الكتب العلمية.

86- أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب ، لمحمد بن ادريس الحوت.

87- كشف الخفاء، لاسماعيل العجلوني، دار الكتب العلمية.

88- النكت والعيون ، دار الكتب العلمية.

89- فرسان النهار من الصحابة الأخيار، للشيخ الدكتور سيد بن حسين العفـاني، الطبعـة الأولى 1425هـ - 2004م ، دار ماجد للنشر والتوزيع.

90- مواكب الشهداء، "شهداء الصحابة"، للشيخ محمـد خالـد ثابـت، الطبعـة الأولى، 1422هـ 2001م، دار المقطم للنشر والتوزيع.

91- تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين، للشيخ الدكتور سيد بن حـسين العفاني، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2002م،الناشر مكتبة معاذ بن جبل القاهرة.

92- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، الشيخ بكر بن عبدالله أبـو زيد، الطبعة الأولى، 1417هـ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

93- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعـة الثانيـة ، 1408هـ - 1988م، دار الحديث القاهرة.

94- الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والآثار السلفية التي خرجها محدث العـصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتبه المطبوعـة، الطبعـة الأولى 1409هـ - 1989م، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية.

95- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، لأبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م، دار الفكر بيروت، دار الكتب العلمية بيروت.

96- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد، ترتيب لفيف من المستشرقين، دار الدعوة – استانبول 1988م.

97- ابن فارس.المتوفي سنة 395 هـ. معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ، 143/2.

98- ابن منظور. لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، 777/2.

99- حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة.

100- إعلام الموقعين، ابن القيم.

101- التمهيد، ابن عبد البر.

102- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي اسحاق الشاطبي، تحقيق الشيخ عبدالله دراز، دار المعرفة بيروت-لبنان.

103- فقه السيرة، محمد الغزالي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 1405هـ - 1985م، خرج أحاديث الكتاب الشيخ الألباني.

104- طبقات الحفاظ، للذهبي.

105- تاريخ دمشق، ابن عساكر.

106- السيرة النبوية، لابن هشام، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م.

107- السيرة النبوية في ضوء المصادر الصحيحة، د مهدي رزق الله أحمد.

108- مصنف عبدالرزاق، للصنعاني.

109- سنن الدارقطني.

110- الثبات عند الممات، ابن الجوزي.

111- صحيح الترغيب والترهيب، للمنذري، تصحيح الألباني.

112- تلبيس ابليس، ابن الجوزي، دار الفكر، 1368هـ .

113- مواعظ الإمام سفيان الثوري.

فهرس

الموضوع	الصفحة

الباب الأول